



مدن في الثورة

دير الزور

الجسر المعلق

دراسة في التحولات الثورية للمدينة

الباحث: صبر درويش

مدير المشروع: محمد ديبو

بدعم من:



فهرس

2	فهرس
4	مقدمة
7	الباب الأول: أيام اسقاط النظام... وأصنامهم
7	1. أول الجُمع وما قبلها.....
10	2. يوم الحشود وإسقاط "الصنم".....
13	3. يوم حصار جامع عثمان.....
14	4. يوم الشهداء وتحولات المشهد الثوري.....
16	5. أيام التحرير.....
19	6. أيام اقتحام المدينة وأقول التحرير الأول.....
20	ا. أواخر تموز... قصف عنيف وضحايا.....
21	ب. حي المطار القديم.....
23	الباب الثاني: مرحلة الكفاح المسلح... أيلول التحولات
23	1. أيلول التسليح وولادة كتائب الجيش الحرّ.....
25	2. إرهابات الجيش الحرّ الأولى.....
26	3. معركة الرصافة 2012-3-18.....
29	4. تكوينات الجيش الحر في المدينة (٢٠١١-٢٠١٢).....
29	أ. المجلس العسكري في دير الزور.....
30	ب. كتيبة عمر بن الخطاب.....
31	ت. كتائب محمد.....
32	ث. كتيبة عثمان بن عفان.....
33	ج. كتيبة علي بن أبي طالب.....
33	ح. لواء الأحواز العربية.....
34	5. مآلات الجيش الحر.....
35	ا. التكوين الاجتماعي والطبقي لمجموعات الجيش الحر.....

36 ب. فيروس التمويل وتسَلُّ المال السياسي.

39 الباب الثالث: زمن التطرف والإسلام السياسي

39 1. إسلام متشدد يمهد الطريق لآخر أكثر تشدداً.

39 ا. التشكيلات الإسلامية المتشددة.

41 ب. جبهة النصر.

45 ت. تنظيم الدولة الإسلامية "داعش".

47 الباب الرابع: أشكال التنظيم الاجتماعي والمجتمع المدني

47 1. أشكال التنظيم الأولى.

50 2. منظمات المجتمع المدني.

50 ا. كرتونة ديرية.

52 ب. دير الزور تذبج بصمت.

54 ت. دير الزور تحت النار.

56 ث. منظمة روافد.

56 ج. المجلس المحلي لمدينة دير الزور.

57 ح. شبكة دير الزور الإخبارية.

60 خاتمة

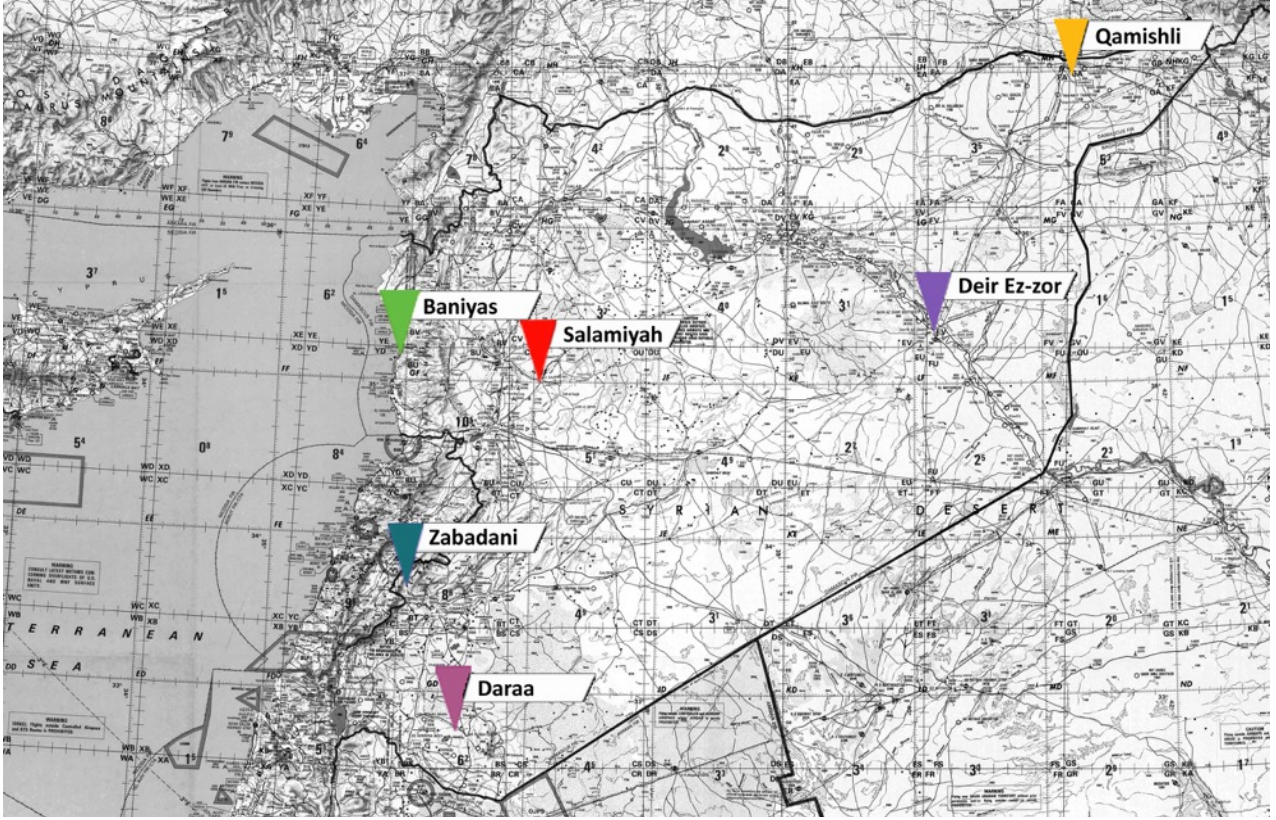
61 منهجية البحث

63 فريق العمل

64 مدن في الثورة

66 حكاية ما انحكت

مقدمة



إلى الشرق من سوريا، تمتد محافظة دير الزور على مساحة 33.6 ألف كيلو متر مربع أي ما يعادل نحو 17.9 في المائة من مساحة سوريا، وتضمّ نحو 1.6 مليون نسمة بحسب إحصائية عام 2007 الرسمية، يشطرها نهر الفرات إلى شطرين: يسار النهر وهو امتداد بادية الشام، ويمين النهر وهو امتداد للجزيرة السورية، وبحسب الباحث السوري الدكتور محمد جمال باروت، بدأ عمران بلدة دير

الزور الجديدة منهجياً في عام 1865، في إطار التحالف الذي قام بين الإصلاحيين العثمانيين في ستينيات القرن التاسع عشر، والسلطان عبد العزيز الذي ارتقى عرش السلطنة عام 1861.

إلا أن دير الزور التي نعرفها حالياً كواحدة من كبرى مدن شرق سوريا، تعود بتاريخها إلى سنوات مفرقة في القدم، حتى أن بعض المؤرخين يحيل تاريخها إلى المرحلة السلوقية (312 ق.م.-64 ق.م.)، حيث كانت عبارة عن بلدة صغيرة على كتف نهر الفرات.

يغلب على محافظة دير الزور الطابع العشائري، حيث استوطنت مجموعة من القبائل على ضفتي الفرات من سنوات طويلة، وتحوّلت مع الوقت إلى العمل في الزراعة والتجارة وتربية الأغنام. ومن بين أهم القبائل التي استوطنت دير الزور قبيلة العقيدات، وتضمّ عدد من العشائر مثل: عشيرة البوسرايا والبوخابور، والبو ليل؛ وقبيلة البقارة كبرى قبائل دير الزور وتضمّ أيضاً عدداً من العشائر مثل: عشائر العابد وعشائر العبيد. وما تزال حتى اليوم التركيبة العشائرية حاضرة بقوة في نمط العلاقات الاجتماعية التي تشدّ مختلف المكونات الاجتماعية في دير الزور إلى بعضها البعض.

في عام 1919 ضُمت دير الزور إلى المناطق التي تقع تحت سلطة الاحتلال البريطاني الذي كان متواجداً في ذلك الوقت في العراق، وتمّ استعادة دير الزور وضمّها إلى الأراضي السورية بعد وقت قصير على إثر ثورة شعبية في عهد حكومة الملك فيصل، وخضعت دير الزور فيما بعد للاستعمار الفرنسي كباقي الأراضي السورية سنة 1920.

في العصر الحديث، اكتُشف في أراضي دير الزور ثروات باطنية كبيرة، وباتت دير الزور كبرى المدن السورية في الاحتياطي الضخم من النفط والغاز الذي تحتويه، وهو ما ترك بأثره على أنماط الحياة الاجتماعية وطبيعة النشاط الاقتصادي لسكان المحافظة.

في زمن الثورة السورية سنة 2011، كانت مدينة دير الزور من أولى المدن التي انتفضت على حكم نظام الأسد، وشاركت في أولى المظاهرات بتاريخ 25-3-2011، وتنامى فيها الحراك الثوري، حتى باتت إلى جانب مدينة حماه وسط البلاد من كبرى المدن التي تخرج مظاهرات، دعيت في تلك الأثناء

1- د. محمد جمال باروت، التكون التاريخي الحديث للجزيرة السورية، المركز العربي للأبحاث لدراسة السياسات، بيروت، تشرين ثاني 2013. ص

"بالمظاهرات المليونية"، وهو ما يشير إلى الزخم الثوري في المدينة، وموقف أهلها الجذري من نظام الأسد.

مرّت دير الزور بسيارات الحراك الثوري كباقي المدن السورية الأخرى المنتفضة على حكم الأسد، وتدرّجت فيها التعبيرات السياسية للمنتفضين من العمل السلمي بكل أشكاله وحتى الكفاح المسلح. وأيضاً انقسمت مرحلة حمل السلاح إلى مراحل مختلفة، بدأتها تشكيلات "الجيش الحر" بداية، وتلتها تشكيلات إسلامية متشدّدة، ووصولاً إلى بروز جبهة النصرّة في عام 2013، وهزيمتها أمام تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" في بداية عام 2014، وتسيّد هذا الأخير وسيطرته على أغلب مناطق دير الزور حتى كتابة هذه الورقة.

طرأت على المدينة تحولات كبرى خلال السنوات القليلة الماضية، وخضعت لتدمير ممنهج من قبل قوات الأسد بداية وتنظيم "داعش" تالياً، وتحول سكان المنطقة من مضيفين لمجتمع النازحين من مناطق سورية مختلفة إلى نازحين بدورهم يهيمنون على وجوههم في أصقاع الأرض.

تسعى هذه الورقة التي نضعها بين يدي القارئ إلى رصد هذه التحولات التي طرأت على مجتمع المدينة، كما تسعى إلى تسليط الضوء على السيرورات الثورية في المدينة، وهي ورقة تجهد من أجل عرض حكاية المدينة في زمن الحراك الثوري على لسان أبنائها من الناشطين الأوائل والذين كان لهم دوراً كبيراً في نشاطات المدينة الثوري.

وبقدر ما سعينا من أجل توخي الدقة في عرض القصص والأحداث، بقدر ما يبدو العمل محفوفاً بالمخاطر والسهو، وهو ما حاولنا تجنبه قدر الإمكان. ويبقى العمل ناقصاً بانتظار ملاحظات القارئ الحصيف وتصويباته التي بها يكتمل العمل أو هو يقترب من ذلك.

الباب الأول: أيام اسقاط النظام... وأصنامها

تبدو اليوم مدينة دير الزور شرقي سوريا، مهدّمة ومقطّعة الأوصال، كباقي المدن السورية التي اختارت أن تخرج على حكم الطغيان المديد؛ تتلقّى الطعنات على جوانبها، وترفض استبدال طاغية بواحد آخر. فلا تنظم الدولة الإسلامية "داعش" الذي أثنى في أهلها الطعنات، ولا نظام الأسد الذي دمر الأحياء على قاطنيتها، كانا مقبولين من قبل أهالي المدينة، الذين رأوا في كلا الحالتين وجهان لعملة واحدة، فبقيت دير الزور منحازة إلى شعارات ثورتها، متمسكة "بكرتونتها" التي أعلنت عبرها بأنها تذب بصمت وعلى مرأى من العالم.

وككل مدن الثورة السورية، لدير الزور حكاية، تغص بالتفاصيل، تعود بالزمن إلى الأسابيع الأولى من الانتفاضة الشعبية التي انطلقت في سوريا منتصف آذار من عام 2011، وتسير في تسلسل زمني، يتقاطع في كثير من محطاته مع تجارب باقي المدن المنتفضة.

بيد أن لدير الزور خصوصية تميّزها وتميّر حكايتها عن باقي المدن السورية الأخرى، يرويها أهلها بكثير من الشجن والحنين⁽²⁾، الحنين إلى حلم الانعتاق الذي حملت به المدينة يوماً من أيام ربيع عام 2011، حيث كان الصمت سيد الأوقات، وكان الزمن الرخو يخيم على مجتمع المدينة الذي هزّته أصوات الحرية القادمة من درعا في الطرف الآخر من البلاد.

1. أول الجُمع وما قبلها

شكلت الثورات التي انطلقت في تونس ومصر وغيرها من البلاد العربية، حافزاً لدى قطاعات واسعة من المجتمع السوري، كانت بانتظار هذه اللحظة التاريخية، وشجّعت لديهم التفكير بإمكانية التغيير. وبالنسبة لمدينة دير الزور انتشرت على جدران المدينة، وتحديداً في الأسابيع القليلة التي سبقت انطلاق الثورة منتصف مارس آذار 2011، العشرات من الشعارات المناوئة لنظام الأسد، وبحسب شهادة الناشط محمد الحامد⁽³⁾، سارعت قوى الأمن في تلك الأيام إلى مسح تلك الشعارات عن الجدران، كما كثّفت من تواجد عناصرها الأمنية في الشوارع، تحسباً لأي تحرّك "مشبوه" من قبل شبان المدينة.

²- سنعتمد في هذه الورقة على مجموعة من الشهادات، التي حصل عليها الباحث وفريق البحث من خلال لقاءات وشهادات تم الحصول عليها من ناشطين من دير الزور، منهم من كان مشاركاً بشكل أساسي في أحداث المدينة، ومنهم من كان على مقربة من هذه الأحداث، وسنورد أسماء هؤلاء الشهود تباعاً في متن النص.

³- مقابلة أجراها الباحث مع الناشط محمد الحامد، تاريخ كانون ثاني 2016.

2011/4/1

محاولة الخروج في مظاهرة من جامع عثمان بن عفان و بسبب كثرة الأمن و الشبيحة تم تحويل المكان إلى جامع "المفتي".

2011/3/25

خروج أول مظاهرة انطلاقاً من عدة جوامع.

2011/3/22

دعوة أكثر من 200 شخص عبر وسائل التواصل الإجتماعي للتجمع في الساحة ولكنها فشلت.

2011/3/18

خروج الحاضرين بعد انتهاء مباراة لكرة القدم و هتفوا ضد النظام وأحرقوا سيارة لقوى الأمن.

أول الجمع
وما قبلها

وفي يوم الثامن عشر من شهر آذار سنة 2011، وبعد انتهاء مباراة لكرة القدم جمعت بين فريق الفتوة ابن مدينة دير الزور، وفريق تشرين من مدينة اللاذقية على الساحل السوري، انفجر جموع الحاضرين، وسرت موجة من الغضب بين صفوفهم، فخرجوا إلى شوارع المدينة، و هتفوا ضد النظام، و حرقوا على أثرها سيارة تابعة لقوى الأمن و حطّموا مجموعة من المحال التجارية. وفي الوقت الذي يرى فيه العديد من الناشطين من دير الزور أن هذه الحادثة لا تخرج عن نطاق ملاعب كرة القدم وما يحدث فيها من شغب، يرى آخرون أن هذه الحادثة كانت إحدى ارتدادات الربيع العربي في نفوس الشبان، وأنّه لولا تلك الثورات، لما تجرّأ الشبان على الخروج إلى الشارع وتحديّ قوى الأمن السوري.

في يوم الاثنين الموافق للثاني والعشرين من شهر آذار من عام 2011، وقبل بضعة أيام من خروج أول مظاهرة في مدينة دير الزور، التقى مجموعة من الشبان الذين تربطهم علاقات صداقة متينة، وبدأوا التخطيط من أجل الخروج في أول مظاهرة في مدينة دير الزور، وتم الاتفاق على التجمع في ساحة المدينة وسط السوق، والتي سيصبح اسمها فيما بعد ساحة الحرية؛ وفعلياً تمّ دعوة أكثر من 200 شخص بشكل شخصي وعبر وسائل التواصل الاجتماعي، أكدوا جميعهم على رغبتهم بالمشاركة في هذه المظاهرة؛ إلا أنّه في ذلك اليوم، وبحسب شهادة الناشط ثائر الفرات(4)، لم يحضر إلى الساحة أيّاً من هؤلاء الناشطين، و فشلت بذلك أولى المظاهرات التي كان مخططاً لها.

في الخامس والعشرين من شهر آذار سنة 2011، تمّت الدعوة للخروج بأول مظاهرة في المدينة انطلاقاً من عدة جوامع فيها. ومن جامع عثمان بن عفان، وبعد الانتهاء من صلاة الظهر، هتف أحد الشبان بكلمة "الله أكبر حرية"، وتلقفها بعده العشرات من الشبان الآخرين، الذين كانوا ينتظرون بفارغ الصبر إعطاء كلمة السر من أجل انطلاق المظاهرة. .. "الله أكبر حرية" .. هتف جموع المتظاهرين بأعلى صوتهم، .. "درعا تنادي: وينك يا ابن بلادي" .. ردد المتظاهرون، والذين لم تتجاوز أعدادهم في تلك الأثناء السبعين شخصاً(5).

4- مقابلة أجراها الباحث مع الناشط ثائر الفرات (اسم مستعار)، تاريخ كانون أول 2015.

5- رابط الكتروني يظهر خروج الناشطين في أول مظاهرة لهم في مدينة دير الزور بتاريخ 2011-3-25، <https://www.youtube.com/watch?v=7qy4uQUtKxU>

تمكّن الشبان المتحمسين من السير بضعة أمتار خارج جامع عثمان باتجاه الشارع العام، متقصدين الوصول إلى دوار غسان عبود، وعلت هتافاتهم كلما تقدّموا أكثر باتجاه وسط المدينة، وبعد مسير قصير، فوجئ المتظاهرون بتجمهر أعداد كبيرة من الشبيحة والموالين لنظام الأسد، يهتفون بحياة الرئيس، ويحملون صورته وصور أبيه الراحل. كل هذا أجبر المتظاهرين على تغيير طريقهم خوفاً من حدوث صدام بينهم وبين هؤلاء "الشبيحة" الذين كان يتقدمهم رئيس اتحاد الطلبة في دير الزور عبد الرزاق جربوع، أحد أبرز موالى نظام الأسد. وبسبب حضور عناصر الأمن السوري بشكل كثيف، تعرّض المتظاهرون إلى الاعتداء عليهم بالضرب، كما تعرّض بعضهم إلى الاعتقال في تلك الأثناء. إلا أنّ الأحداث لم تسر على هذا المنوال في باقي نقاط التظاهر التي اتفق على الخروج منها من قبل الناشطين، يروي لنا الفراتي، "أنّه في تلك اللحظات من سير المظاهرة التي خرجت من جامع عثمان، أتى أحد الناشطين من جامع الصفا، وأبلغنا عن الوضع المأساوي الذي تعرّض له الناشطين هناك".

كأغلب المدن السورية، سعى الناشطون في مدينة الدير، إلى التجمّع في مساجد المدينة، والخروج بمظاهرات منها بعد انتهاء صلاة يوم الجمعة، الذي كان يستقطب الكثير من المصلّين؛ إلا أنّ العديد من مساجد المدينة في تلك الأثناء لم تكن قد حسمت أمرها بعد، وكان من المبكر تحوّلها إلى صفوف المنتفضين. وبحسب رواية العديد من الناشطين في المدينة، تعامل أئمة ومصلو بعض المساجد بعدوانية مع الناشطين الذين سعوا في تلك الأثناء إلى الخروج من المساجد بمظاهرات أسوة بباقي المدن السورية، ففي مسجد الروضة في حي الجبيلة وسط المدينة، قام بعض المصلّين بضرب وشم بضعة شبّان حاولوا أن يهتفوا للحرية بعد انتهاء الصلاة، وتمّ طردهم من المسجد على إثر ذلك، وبحسب رواية الفراتي، ونقلًا عن ذلك الشاب الذي التقاه قادماً من جامع الصفا، تكرر الأمر مرّة أخرى في جامع الصفا في حي العمال حين قام الطبيب وابن مدينة دير الزور "حسين الغنّوان"، طالباً من خطيب المسجد التحدّث عن أخطاء النظام وجرائمه بحقّ المتظاهرين السلميين في المدن السورية، مما دفع مجموعة من أهالي المنطقة المتواجدين ضمن المصلّين، ومن بينهم الخطيب نفسه، بضرب وإهانة الطبيب، وتمّ على إثرها تسليم واعتقال ستة شبّان من قبل الأمن السوري، اثنان منهم استشهدا لاحقاً.

تعدّدت محاولات الشبان في ذلك اليوم، ووفق شهادة محمد الحامد، حاولت مجموعة من الشبان الخروج في مظاهرة في شارع "التكيا"، وتحديدًا من حديقة "المشتل"، وكان بحوزة الشبان بعض اللافتات التي كتبوا عليها عبارات مناوئة لنظام الأسد ومطالبة بالحرية، إلا أنّ قوى الأمن سارعت إلى فض هذا التجمع بالقوة، واعتقال بعض الشبان المشاركين.

في الأول من شهر نيسان عام 2011(6)، سعى الناشطون في دير الزور إلى الخروج في مظاهراتهم الثانية ضد نظام الأسد، وحاولوا الخروج مرّة أخرى من جامع "عثمان بن عفان"، إلا أنّ محاولتهم تلك باءت بالفشل، بسبب الأعداد الغفيرة لعناصر الأمن والشبيحة، الذين كانوا بانتظار المتظاهرين فور خروجهم من الجامع غداة انتهائهم من صلاة يوم الجمعة، مما دفع بالناشطين إلى إعادة تنظيم صفوفهم، وتغيير مكان المظاهرة، مختارين جامع "المفتي" الواقع بالقرب من كراجات المدينة في حي بور سعيد. وأيضاً تعرّض الناشطون هناك، لاعتداءات من قبل قوات الأمن والشبيحة، وبحسب الفراتي، تعرّض العديد من الناشطين للضرب على أيدي الشبيحة والموالين لنظام الأسد، وكانت إصابة بعضهم خطيرة، بسبب استخدام العصي والهرات.

بالإضافة إلى التظاهرة التي خرجت من جامع المفتي، تمكن مجموعة من الشبان في حيّ الجورة من تنظيم صفوفهم، والخروج بمظاهرة، لم يتمكّن الناشطون خلالها سوى السير بضعة خطوات، والهتاف ببضعة شعارات، حتى قامت قوى الأمن والشبيحة، بقمعها ودفع المتظاهرين إلى فض التظاهرة والهرب خوفاً من الاعتقال.

2. يوم الحشود وإسقاط "الصنم"

في الثاني والعشرين من شهر نيسان من عام 2011، في الجمعة التي دعاها الناشطون "بجمعة الصمود"(7)، وبعد خروج المدينة بعدة مظاهرات، خرجت حشود لم تشهد لها البلاد مثيلاً من قبل، عشرات الآلاف من المتظاهرين خرجوا يجوبون شوارع مدينة دير الزور، ويهتفون، ولأول مرة أثناء انتفاضتهم ضد نظام الأسد، بإسقاط النظام. كان يوماً استثنائياً بالنسبة لجميع أهالي دير الزور، ففي هذا اليوم سيثبت المنتفضون أنّ هدير حناجرهم أقوى من الخوف والإذلال الذي طغى على حياتهم، طوال العقود الماضية.

6- رابط الكتروني يظهر خروج الناشطين في المظاهرة الثانية في دير الزور بتاريخ: 2011-4-1، <https://www.youtube.com/watch?v=qst3aYpnKQI>

7- مقاطع فيديو تظهر حشود المتظاهرين في مدينة دير الزور في الجمعة التي أطلق عليها الناشطون اسم: "جمعة الصمود"، بتاريخ: 2011-4-22،

https://www.youtube.com/watch?v=A40g1_ZT3_M

https://www.youtube.com/watch?v=k5orK0U_6bM

كل شيء في ذلك اليوم كان عفويًا بشكل يثير الدهشة، وأغلب التنسيق الذي تمّ بين الناشطين، كان بشكل شخصي، لا بشكل منظم ومركزي. وبحسب رواية الفراتي: تمّ الاتفاق بين الناشطين على التجمع والانطلاق في مظاهرات ذلك اليوم من مناطق محددة، وتمّ اختيار عدة نقاط لتجمع المتظاهرين، وأهمها جامع عثمان بن عفان في حيّ المطار القديم، وجامع التوبة في حيّ الجورة، ومن حيّ الموظفين، وحيّ الحميدية، وغيرها. في تلك الأثناء، كانت قوات الأمن قد ركزت تواجدها في نقاط محددة من المدينة، وتحديداً بجانب ثلاث من جوامع المدينة، وهي: جامع عثمان، جامع التوبة، وجامع مصعب بن عمير.

في جامع "عثمان" تجمّع الآلاف من الناشطين، وذلك رغم التواجد الأمني الكثيف في محيط الجامع، وبسبب الزخم الثوري الذي سرى بين صفوف المتظاهرين، الناتج عن ضخامة أعدادهم، وقف أحد الشبان وتوجّه إلى عناصر الأمن بالقول: (عناصر الأمن! لديكم بضعة دقائق لمغادرة المكان، وإلا سنضطر إلى إجباركم على ذلك). وفعلاً ابتعدت قوات الأمن في تلك الأثناء، إلا أنّهم كانوا قد وقفوا على بعد حوالي المائة متر عن مكان تجمع المتظاهرين.

وخلال وقت قصير، بدأت أعداد المتظاهرين بالتزايد، وبدأ يرفد التجمع، أعداد جديدة من المتظاهرين، قادمين من مناطق مختلفة من المدينة، ووصلت أعداد المتظاهرين في نقطة جامع "عثمان" إلى حوالي 5000 آلاف متظاهر، قدموا من عدة مناطق كان أبرزها: جامع مصعب بن عمير، وجامع التوبة، ومن حيّ العمال، وغيرها من المناطق(8).

بعد تزايد أعداد المتظاهرين بشكل متواتر، انطلقت المظاهرة باتجاه الشارع الرئيسي، حيث فوجئ المتظاهرون بوجود حاجز لقوات الأمن السوري، والذين سعوا إلى عرقلة المتظاهرين وفض مسيرهم، إلا أنّ الحشود الكبيرة التي ضمّتها تلك المظاهرة، أجبرت قوات الأمن على الفرار، فأكمل المتظاهرون طريقهم باتجاه الشارع الرئيسي وبعدها إلى دوار غسان عبود، ورفد المظاهرة عبر الشوارع الفرعية أعداد إضافية من المتظاهرين، واستمرت الأعداد بالتزايد، واستمرّ المتظاهرون بالتقدّم في شوارع المدينة والتهاف أعلى صوتهم للحرية. بعدها اتجه المتظاهرون إلى الساحة العامة، والتي كانت تدعى

8- مقطع فيديو يظهر حشود المتظاهرين بالقرب من جامع عثمان بن عفان، في "الجمعة العظيمة"، دير الزور، تاريخ: 2011-4-22، <https://www.youtube.com/watch?v=NQC9N-kPR64>

يوم الحشود وإسقاط الصنم



تصدت قوات الأمن للمتظاهرين، بداية برشهم بالماء وقنابل الغاز المسيلة للدموع، ومن ثم الرصاص الحي.

تمكن الناشطون من إسقاط تمثال باسل الأسد وجره أرضاً

خروج عشرات الآلاف من المتظاهرين وتجمعهم في ساحة الحصان

2011/4/22
جمعة الصمود

"ساحة الحصان"، وذلك بسبب تواجد تمثال لنجل الرئيس السابق حافظ الأسد باسل الأسد في وسطها وهو يعتلي حصانه⁽⁹⁾.

في الساحة العامة، والتي سيطلق عليها الناشطون فيما بعد اسم "ساحة الحرية"، ستلتقي جموع المتظاهرين القادمين من مناطق مختلفة من مدينة دير الزور وريفها القريب، وتضخمت أعداد المتظاهرين حتى تجاوزت عشرات الآلاف، ملأت الشوارع الثلاث الداخلة إلى الساحة بالكامل، بالإضافة إلى امتلاء الساحة ذاتها بالجموع، وصدحت حناجر الثوار، ولأول مرة في مدينة دير الزور بهتاف إسقاط النظام؛ هتف المتظاهرون: (الشعب يريد إسقاط النظام)، على مرأى ومسمع من قوات الأمن والشبيحة التي كانت ترابط على مقربة من المتظاهرين، وتتنظر إلى الجموع من دون حول أو قوّة.

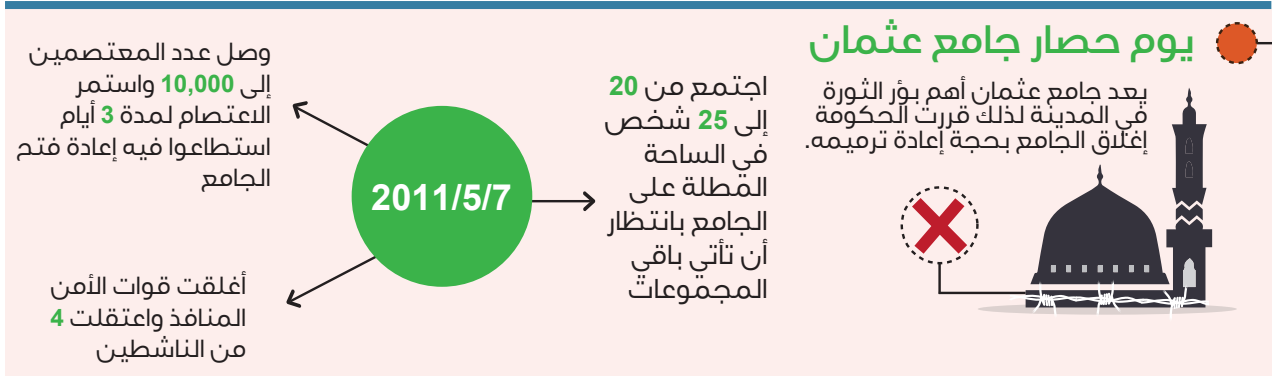
وبحسب شهادة الناشط رامي أبو زين العابدين¹⁰، في تلك الأثناء، استقدمت قوات الأمن مزيداً من العناصر والقوات الإضافية من أجل التصدي للمتظاهرين السلميين، وتفريقهم بالقوّة، فأحضرت سيارة إطفاء من أجل رش المتظاهرين بالماء بغية تفريقهم، كما أطلقت القنابل المسيلة للدموع على صفوف المتظاهرين، وردّ المتظاهرون برمي عناصر الأمن بالحجارة، وأجبروهم على التراجع، فتمكّن الناشطون من الوصول إلى سيارة الإطفاء التي فرّ سائقها، فأخذوا خرطوم المياه منها، وجروه حتى تمثال باسل الأسد وسط الساحة، ربطوا خرطوم المياه بقدم الحصان، وجروّه حتى تهاوى أرضاً⁽¹¹⁾.

سقط في دير الزور في تلك الأثناء واحداً من أهم رموز سلطة الطغيان في المدينة، وهدرت الحناجر بصيحات النصر والشعور بالانعتاق، حيث سقط الخوف من قلوب المتظاهرين مع سقوط رمز السلطة في المدينة.

⁹ - مقطع فيديو يظهر حشود المتظاهرين في "ساحة الحصان" في دير الزور، بتاريخ: 2011-4-22، <https://www.youtube.com/watch?v=baD21ZEhQ4>

¹⁰ - مقابلة أجراها الباحث مع الناشط رامي زين العابدين (اسم مستعار) من دير الزور، بتاريخ: كانون ثاني 2011.

¹¹ - فيديو يظهر حرق متظاهري مدينة دير الزور لتمثال باسل الأسد وإسقاطه، بتاريخ: 2011-4-22، <https://www.youtube.com/watch?v=c4Ybl66-Fzo>



إلا أنّ قوات الأمن لم تستسلم، وأحضرت المزيد من الجنود، والذين استخدموا وبحسب الناشطين، الرصاص الحي وقنابل الغاز والمدركات العسكرية من أجل فضّ الجموع، وتفريق المتظاهرين. وهو ما حدث فعلياً، حيث قرّر الناشطون فضّ تظاهرتهم بعد ساعات من التجوّل والتهاتف في أحياء المدينة، وبعد نجاحهم في فرض أنفسهم قوة أساسية في الشارع.

3. يوم حصار جامع عثمان

تحوّل جامع عثمان الواقع في حي المطار القديم، إلى واحدٍ من أهم بؤر الثورة في مدينة دير الزور، وشكل محيطه الاجتماعي مع الوقت حاضنة اجتماعية للحراك الثوري في المنطقة، وبحسب شهادة الفراتي، كان محيط جامع عثمان في معظمه من الداعمين للحراك الثوري، وفي اللحظات التي كان يفرّ فيها الناشطون هرباً من ملاحقات عناصر الأمن أثناء التظاهرات، غالباً ما كانوا يلجؤون إلى بيوت أهالي هذا الحيّ ويختبئون فيها، بينما أهالي الحيّ لم يكونوا يسمحون لعناصر الأمن بدخول منازلهم وتفتيشها بحثاً عن هؤلاء الناشطين.

من أجل كل هذا، اتخذت السلطات الحاكمة في المدينة قراراً بإغلاق الجامع بحجة إعادة ترميمه، وأتى ذلك بقرار من "جامع جامع" ممثل أعلى سلطة أمنية في مدينة دير الزور في تلك الأثناء. وتمّ فعلياً إغلاق الجامع، وأغلق معه أغلب المنافذ المؤدية إليه.

بعد بضعة أيام من إغلاق الجامع، اتفقت بعض المجموعات من الناشطين على اقتحام الحصار الذي ضربته قوات الأمن في محيط الجامع، والخروج بمظاهرة منه، تثبت رفض سكان الحيّ لهذا القرار؛ كما تمّ الاتفاق مع مجموعات من مناطق أخرى من أجل تنفيذ هذا الاعتصام.

اجتمع في ذلك اليوم الموافق للسابع من أيار من سنة 2011 حوالي 20 إلى 25 شخصاً، في الساحة المطلّة على الجامع، بانتظار أن تأتي باقي المجموعات من المناطق الأخرى ويبدأ الاعتصام، إلا أنّ قوات المخابرات التابعة للنظام، كانت على دراية بمخططات الناشطين، فحشدت المئات من عناصرها في محيط المنطقة بغية منع المتظاهرين من التجمّع والالتحام مع بعضهم في ساحة جامع عثمان، وتمّ

فعلياً إغلاق المنافذ الثلاثة الأساسية التي تقود إلى ساحة الجامع. إلا أن أهالي المنطقة والذين يعرفون طرقاتها ومسالكها جيداً، تمكنوا من اختراق الحصار والنفوذ إلى المكان الذي يعتصم فيه الشبان، وتم القبض على مجموعة من الشبان من قبل عناصر الأمن، وصل عددهم إلى أربعة من الناشطين، مما أدى إلى تأجيج مشاعر المعتصمين، وزاد من أعدادهم والتي وصلت عند حلول المساء إلى نحو عشرة آلاف متظاهر، هدرت أصواتهم في ليل دير الزور المعتدل في ذلك الربيع⁽¹²⁾.

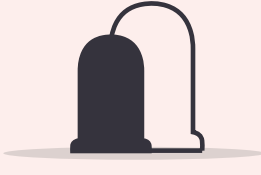
أجبرت أعداد المنتفضين الكبيرة قوى الأمن على فتح باب التفاوض مع المتظاهرين، والذين أصروا على الإفراج عن جميع الشبان المعتقلين، كشرط للتفاوض، وفشلت المفاوضات، واستمر الاعتصام لليوم الثاني، وبقيت الأعداد الكبيرة للمعتصمين تحتل الساحة، وفي اليوم الثالث استحضرت قوات الأمن عناصر جديدة للمؤازرة، وأطلقت الرصاص الحي في الهواء، وأجبرت المعتصمين على فض اعتصامهم، إلا أن ذلك لم يحدث إلا بعد أن وافقت الجهات الحكومية في المدينة على إعادة فتح جامع عثمان، وفك الحصار والحواجز عن المنطقة.

4. يوم الشهداء وتحولات المشهد الثوري

على أثر حصار جامع عثمان، وما نتج عنه من تزايد عدد المظاهرات الليلية والاعتصامات المسائية التي باتت أشبه "بالعادة" لدى الناشطين، تكثف تواجد القوى الأمنية داخل المدينة، وتحديداً في محيط جامع عثمان، وفي الأحياء التي كانت أكثر راديكالية من غيرها ضد نظام الأسد، وعلى إثر هذه التحولات، ابتكر الناشطون أشكالاً جديدةً لتعبيراتهم الثورية، فدرجت في تلك الأثناء ما عرف باسم "المظاهرات الطيارة"، وهي عبارة عن مظاهرات صغيرة تضم عدداً قليلاً من الناشطين، ولا تدوم لوقت طويل -بضعة دقائق في أغلب الأحيان- والهدف منها، استفزاز القوى الأمنية المنتشرة في أحياء المدينة، وتسبب الإزعاج لها بغية دفعها إلى الرحيل، من جهة، ومن جهة ثانية كانت رسائل قصد منها الناشطون القول بأنهم مازالوا موجودين وقادرين على التعبير رغم التواجد الأمني الكثيف في أحياء المدينة.

¹² - شريط فيديو يظهر الاعتصام المسائي للناشطين بالقرب من جامع عثمان بن عفان في دير الزور، بتاريخ: 2011-5-7، <https://www.youtube.com/watch?v=MF84Ws8Jwfo>

يوم الشهداء وتحولات المشهد الثوري



2011/6/15 خروج الآلاف في تشييع الركاض. توجه المتظاهرون إلى ساحة الحرية وقامت قوى الأمن بإطلاق النار على المتظاهرين.

خروج مظاهرات كبيرة وسقوط أول شهيد الطفل "معاذ الركاض"



في بداية شهر حزيران، وتحديدًا في الثالث منه، وفي يوم الجمعة التي أطلق عليها الناشطون اسم: "جمعة أطفال الحرية"⁽¹³⁾، خرجت مظاهرات كبيرة في المدينة، وكانت تلك المظاهرات لتكون شبيهة بما سبقها من تظاهرات خرجت في دير الزور، لولا أنها سجلت سقوط أول شهيد من المتظاهرين، وهو الطفل معاذ الركاض ذو الخمسة عشر عاماً⁽¹⁴⁾.

بحسب شهود عيان، وبحسب أشرطة الفيديو المصورة، كان الركاض وخلال مشاركته في مظاهرات ذلك اليوم والتي خرجت في حيّ الجورة، قد أصيب بطلق ناري في رجله، سقط على إثرها أرضاً، وتمكنت قوات الأمن فيما بعد من إلقاء القبض عليه، ومنعوا رفاقه من إسعافه والوصول إليه، ورغم إصابته، انهال عليه عناصر الأمن بالضرب المبرح بأعقاب البنادق والمهاوات، مما أدى إلى وفاته.

احتفظت الأجهزة الأمنية بجثمان الشهيد، وسعت إلى ابتزاز عائلته، واشترطوا عليهم من أجل تسليمه أن يوقعوا على تعهد بأن ابنهم قتل على يد العصابات الإرهابية، إلا أن عمّ الشهيد، وبحسب رواية الفراتي، رفض ذلك. وخرجت في تلك الأثناء مظاهرات عارمة في جميع أحياء دير الزور أجبرت الأجهزة الأمنية على تسليم جثمان الشهيد.

في الخامس من ذلك الشهر⁽¹⁵⁾، خرج الآلاف من أهالي مدينة دير الزور في تشييع الركاض، جاب المشيعون شوارع المدينة، وهتفوا ضد نظام الأسد وأجهزته الأمنية، ودفن جثمان الشهيد في "مقبرة الحرية"، وهي عبارة عن قطعة أرض قام الناشطون بتحويلها إلى مقبرة لدفن شهداء الثورة فيها.

وبعد الدفن، اتجهت المظاهرة التي ضمت عشرات الآلاف من المتظاهرين الغاضبين، باتجاه ساحة الحرية وسط المدينة، إلا أن أجهزة الأمن التابعة لنظام الأسد، قامت بإطلاق النار عليهم، بالإضافة إلى الغازات المسيلة للدموع، فسقط شهداء إضافيون في ذلك اليوم من صيف عام 2011، حيث أصيب

¹³ - مقطع فيديو يظهر جانباً من المظاهرات التي خرجت في دير الزور في جمعة أطفال الحرية، بتاريخ 3-6-2011، <https://www.youtube.com/watch?v=zCCM9gOBdrU>

¹⁴ - مقطع فيديو يظهر سقوط الشهيد معاذ الركاض بدير الزور، بتاريخ 3-6-2011، <https://www.youtube.com/watch?v=XTbHaABOrmk>

¹⁵ - تشييع الشهيد معاذ الركاض 5-6-2011، https://www.youtube.com/watch?v=Y6SkwW_f0oI

الشابان عبد المنعم حبشان، ومحمد الصياح، بطلق نارياً، واستشهدا على الفور⁽¹⁶⁾. وخرج في اليوم التالي الآلاف من أهالي مدينة دير الزور الغاضبين، في تشييع الشابين، وساد المدينة مناخ مشحون بالغضب والحزن على سقوط الشهداء، وكان من الواضح في ذلك الوقت أن تحولات جديدة بدأت تطرأ على الحراك الثوري في المدينة.

ففي الوقت الذي اكتفت فيه أجهزة الأمن التابعة لنظام الأسد بقمع مظاهرات دير الزور من دون التسبب بسقوط قتلى في صفوف المتظاهرين، وفي الوقت الذي كان الاعتقال أسوأ ما كان يمكن أن تقوم به هذه الأجهزة الأمنية بحق المتظاهرين، وقد اختبر ذلك في أكثر من مناسبة بما فيها المظاهرات التي أسقط فيها الناشطون تمثال باسل الأسد، وهو ما كان يعتبر شيئاً في غاية الاستفزاز للقوى الأمنية، إلا أنه لم يذكر أن سقط شهداء في تلك اللحظات، وهو ما يشير إلى أن تحولاً وأوامراً عسكرية جديدة بدأت الأجهزة الأمنية بتنفيذها بعد حزيران من عام 2011.

5. أيام التحرير

مع بداية شهر حزيران من عام 2011، وبعد سقوط أول شهداء مدينة دير الزور، تكثف الحراك الثوري في المدينة بشكل ملحوظ، وتزايدت أعداد المظاهرات التي راحت تجوب شوارع المدينة ليل نهار، فلم يكتف الناشطون في تلك الأيام بالخروج في مظاهرة يوم الجمعة كالمعتاد، بل صارت تخرج أغلب أيام الأسبوع، وتزايدت وتيرة هذه النشاطات تدريجياً وتنامت طرداً مع كل شهيد سقط في المدينة على أيدي قوات الأمن والمخابرات التابعة لنظام الأسد، فالعنف الذي واجهت فيه قوات الأمن المتظاهرين زاد من إصرارهم، وشكل محفزاً إضافياً لهم للخروج إلى الشارع والتعبير عن مواقفهم⁽¹⁷⁾.

وفي أواخر حزيران، بدأت تشهد مدينة دير الزور خروج مظاهرات عارمة ضمت مئات الألوف من المتظاهرين، كما حدث في مظاهرة جمعة "سقوط الشرعية" بتاريخ 24 حزيران 2011، حيث استمرت الحشود الغاضبة بالهتاف والتظاهر في ساحة الحرية وسط المدينة حتى وقت متأخر من ذلك

¹⁶ - مقطع فيديو يظهر تشييع الشابان عبد المنعم حبشان، ومحمد الصياح، في دير الزور، بتاريخ: 6-6-2011، <https://www.youtube.com/watch?v=dR7L4ZQgll0>

¹⁷ - شريط فيديو يظهر عشرات الآلاف من المتظاهرين في أحياء دير الزور، بتاريخ: 22-7-2011، <http://www.syrrevnews.com/archives/2677>



اليوم⁽¹⁸⁾). بينما شهدت إحدى ساحات المدينة، وهي ساحة "المدلجي" خروج مظاهرات مسائية بشكل شبه يومي، تحولت إلى ما يشبه الكرنفالات الشعبية، حيث غنى المتظاهرون وهتفوا وعبروا بكل الأشكال السلمية التي كانت متاحة عن مواقفهم وأفكارهم ورغبتهم بالانعتاق⁽¹⁹⁾. واستمرت المظاهرات الحاشدة بالتنامي حتى تاريخ 22 تموز 2011 حيث احتشد الآلاف من أهالي دير الزور في ساحة الحرية في المظاهرات التي خرجت في اليوم الذي دعاه الناشطون "بجمعة أحفاد خالد"⁽²⁰⁾. وفي ذلك اليوم أخرجت مدينتي حماه ووسط البلاد ودير الزور أكثر من مليون متظاهر بحسب شهادات العديد من السوريين والوسائل الإعلامية، وكان ذلك اليوم من أكثر الأيام التي ألهمت المدن السورية المنتفضة، ومن أكثر اللحظات زخماً ثورياً شهدته سوريا على امتدادها.

حتى ذلك التاريخ، أي حتى بداية شهر حزيران من عام 2011، اقتصرت ممارسات قوى الأمن والمخابرات على محاولة احتواء هذا الحراك الشعبي من دون أن يسقط ضحايا في صفوف المدنيين، فاعتمدت أساليب "القمع الناعم"، من خلال اعتقال قادة الحراك الشعبي ومن ثم الإفراج عنهم، وإطلاق الغازات المسيلة للدموع على المتظاهرين، أو إخراج مجموعات من الموالين لنظام الأسد في مسيرات مناهضة للمظاهرات الشعبية، وغيرها من وسائل القمع والاحتواء الحذر.

إلا أن كل ذلك لم يجدي نفعاً، بل على العكس، ففي الفترة الممتدة بين نهاية آذار وحتى تموز من عام 2011، كان الخط البياني للحراك الشعبي يشير إلى تصاعد متواتر للحراك الشعبي، وكان من الواضح أن نظام الأسد بدأ يفقد سيطرته على المدينة تدريجياً. وبحسب شهادة الناشط علي الفرحان

18- شريط فيديو يظهر المظاهرات التي خرجت في مدينة دير الزور بتاريخ 24-6-2011، <https://www.youtube.com/watch?v=5xdC2wFEyU4>

19- مظاهرات مسائية في ساحة المدلجي وسط مدينة دير الزور، بتاريخ 22-6-2011، على الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=M8SDi-q8Mig>

<https://www.youtube.com/watch?v=W9nuHKATTEg>

20- مظاهرات حاشدة في مدينة دير الزور في جمعة "أحفاد خالد"، بتاريخ: 22-7-2011، على الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=JqvUb99jWl4>

من دير الزور، والتي يوردها الصحفي السوري فادي الداوك في مقال له، يقول: "عندما امتدت التظاهرات لتشمل معظم أحياء المدينة مثل حي الجبيلة والحويقة وحي القصور ودير العتيق، حي الشيخ ياسين، وحي العرضي، وحي العمال، والجورة، خرجت أضخم التظاهرات في دير الزور، حيث شارك فيها نحو 550 ألف شخص، وسط غياب تام للسلطة بشكل كامل، حيث اختفى عناصر الأمن وشرطة المرور من الشوارع، وأصبح أمر تنظيم وإدارة الحياة العامة على عاتق أهل المدينة، كانت تلك الأعداد الضخمة تغصُّ بها أحياء الشيخ ياسين والعمال والحويقة إلى أن دخل الجيش إلى المدينة منهيًا التحركات السلمية بدباباته وأسلحته وجنوده الذين استقدم كثير منهم من حلب ودمشق كتعزيزات إضافية لإعادة هبة النظام بعدما مرَّها أهل دير الزور بالأرض"⁽²¹⁾.

مع بداية حزيران، كان واضحاً أنّ تحولاً في ممارسات القوى الأمنية قد حدث، وأنّ أوامر جديدة باتت قيد التنفيذ، وهو ما تُرجم عملياً من خلال جمعة "أطفال الحرية" والتي أُطلق فيها الأمن الرصاص الحي على المتظاهرين، وسقط على إثر ذلك شهداء وجرحى في صفوف المدنيين، وهو ما أشار في تلك الأيام إلى تصاعد مستوى العنف والقمع حيال المتظاهرين، والتي كانت ذروتها في اقتحام قوات الجيش، للمدينة في أوائل آب من عام 2011، في الفترة ذاتها على وجه التقريب التي اقتحم فيها الجيش مدينة حماه.

إلا أنّه كان قد سبق اقتحام الجيش لمدينة دير الزور مجموعة من التحوّلات والتغيّرات على آليات الحراك الثوري في المدينة. فبعد جمعة "أطفال الحرية"، وسقوط مجموعة من الشهداء في المظاهرات التي تلتها، تولدت لدى القوى الاجتماعية المنتفضة رغبة كبيرة في إحكام السيطرة على المدينة وطرد الأجهزة الأمنية منها، على غرار ما حدث في حماه، أيضاً في ذلك التاريخ، أي بعد جمعة "أطفال الحرية" في 3-6-2011 والتي سقط فيها العشرات من الضحايا في أوساط المدنيين من أهالي مدينة حماه.

وكما دفع تصاعد القمع في مدينة حماه الناشطين إلى خيار "تحرير" المدينة، وطرد القوى الأمنية منها، كذلك الأمر حدث في مدينة دير الزور، ودارت في تلك الأثناء سجلات واسعة حول الجدوى من السيطرة على المدينة "وتحريرها"، وانتصر في هذا السجال، أولئك الذين شجعوا على طرد الأجهزة الأمنية من أحياء المدينة وفرض سلطتهم عليها بالكامل.

²¹- فادي الداوك، دير الزور .. مدينة ثائرة على ضفاف نهر الفرات، جريدة المستقبل اللبنانية، عدد: 4439، تاريخ: 2012-8-25.

على إثر هذه الديناميات المتسارعة، وبحسب شهادة الناشط رامي أبو زين العابدين اندفع نشطاء المدينة وثوارها في حوالي النصف الأول من شهر تموز إلى نشر الحواجز في مداخل الأحياء الشعبية لمدينتهم، في محاولة منهم لمنع قوات الأمن التابعة لنظام الأسد من دخولها، وبدأ السلاح في تلك الأثناء بالتسلل إلى أوساط المنتفضين، وبحسب الشهادات، لم يعدو السلاح في تلك الأوقات كونه سلاحاً فردياً من نوع بنادق الصيد وغيرها من السلاح الخفيف، إلا أن تجار السلاح كانوا قد بدأوا في الظهور فعلياً في تلك الأثناء.

سيطرت القوى المنتفضة على أغلب أحياء مدينة دير الزور، ونصب المحتجون الحواجز المصنوعة من الركام وبعض الأدوات المنزلية في مداخل أحيائهم، ونظموا أنفسهم ووضعوا حراساً على هذه الحواجز لمنع تسلل قوات الأمن إليها. وساد المدينة مناخاً من الترقب، والذي لم يمنع خروج المظاهرات بشكل شبه يومي في أحياء المدينة التي غابت عنها القوى الأمنية، وباقي أجهزة البوليس بشكل يدعو إلى الريبة(22).

لم يطل أمر "تحرير" مدينة دير الزور كثيراً، حتى بدأ نظام الأسد في دمشق بالتجهيز لعملية اقتحام واسعة للمدينة؛ فاستقدمت قوات عسكرية من دمشق وحلب، وبحسب مصادر إعلامية في تلك الأثناء توجهت إلى مدينة دير الزور أكثر من 250 آلية عسكرية تضم الدبابات وغيرها من الأسلحة الثقيلة(23). وفي نهاية شهر تموز من ذلك العام، كانت قوات النظام تحكم حصارها على محيط المدينة من كل الجهات، متهيئاً لاقتحام الأحياء المنتفضة وفرض سيطرتها عليها بقوة السلاح.

6. أيام اقتحام المدينة وأفول التحرير الأول

قبل حصار مدينة دير الزور من قبل قوات الجيش التابعة للنظام السوري ببضعة أيام، جرت مفاوضات بين ممثلين عن الحراك الشعبي في المدينة وممثلين عن نظام الأسد، وبحسب شهادة الفراتي، طلب ممثلو الحراك الشعبي من قوات النظام الإفراج عن جميع معتقلي المدينة الموجودين في الأفرع الأمنية، والكف عن اقتحام منازل المدنيين والناشطين واعتقالهم، في المقابل يتعهد الشبان برفع الحواجز من مداخل المدينة، ويسمحون بعودة الحياة الطبيعية إليها.

22- مقطع فيديو يظهر حشود المتظاهرين متوجهة لساحة المدلجي بدير الزور 24-7-2011، <http://www.syrrevnews.com/archives/>

2934

23- الدبابات السورية تقتحم دير الزور و"انشقاق كبير" في الجيش، موقع NOW الاخباري، بتاريخ: 7-8-2011.

بيد أن قرار اقتحام المدينة كان قد اتخذ في دمشق، ففي تلك الأثناء التي كانت تجري فيها المفاوضات، كان النظام في دمشق يرسل قواته العسكرية في الطريق إلى دير الزور. وفعلياً في حوالي نهاية شهر تموز/ يوليو من عام 2011، وصلت المئات من المجنرات والآليات العسكرية، وانتشرت في محيط المدينة متهيئةً لاقتحامها، وخلال عدة أيام، منع أي شخص من الدخول أو الخروج من المدينة، إلا أنه ورغم ذلك، تمكنت العشرات من الأسر من الفرار من بيوتها، نازحة إلى الريف القريب خوفاً من مجازر قد ترتكبها قوات الأسد.

1. أواخر تموز... قصف عنيف وضحايا

في اليوم الأول لعملية اقتحام مدينة دير الزور، أي في يوم الخميس الموافق للثامن والعشرين من شهر تموز، بدأت قوات الجيش والمخابرات السورية عمليات واسعة في المدينة، وباشرت عملياتها باقتحام عدة أحياء كحيّ الجورة وحيّ الحويقة وحيّ العمال وغيرها، وحدث إطلاق نار كثيف سقط على إثره عدد من القتلى في صفوف الأهالي، والعشرات من الجرحى.

بحجة نشر الحواجز من قبل أهالي مدينة دير الزور، قرّر نظام الأسد اقتحام المدينة، وفي الثلاثين من شهر تموز⁽²⁴⁾، وبحسب شهادة رامي أبو زين العابدين، تقدّمت قوات الأسد من الجهة الغربية للمدينة، من جهة حيّ الجورة، وباشرت بقصفه بالمدفعية الثقيلة وقذائف الدبابات، مستهدفة منازل المدنيين وممتلكاتهم الخاصة، وسقطت العشرات من الضحايا في أوساط المدنيين، وحدثت اشتباكات خفيفة بين مجموعات من الشبان المدنيين الذين حاولوا التصديّ لقوّات الجيش ومنع تقدمه، مستخدمين أسلحةً خفيفةً من بنادق صيد وقنابل المولوتوف وغيرها، وامتدت الاشتباكات حتى دوار غسان عبود وسط المدينة.

ومع نهاية اليوم الثاني من القصف العنيف على حيّ الجورة، سجل سقوط عدد من الضحايا في أوساط المدنيين من بينهم أكثر من خمسين جريحاً⁽²⁵⁾. وخلال ثلاثة أيام أجبر الشبان على الانسحاب من الحيّ، وتمكنت قوات النظام من دخوله، واستمر تواجد قوات الجيش لحوالي ستة أيام، قامت خلالها بتمشيط المنطقة واعتقال العشرات من الأهالي والناشطين، بينما قام الأهالي بدفن ضحاياهم في الحدائق العامة لعدم قدرتهم على الوصول إلى مدافن المدينة. حرقت المنازل، وارتكبت الجرائم،

²⁴- مقطع فيديو يظهر دبابات تابعة للجيش السوري تتجول في أحياء المدينة، بتاريخ: 2011-7-31، <https://www.youtube.com/watch?v=gOGpawzRqA>

²⁵- موقع على الويب، يؤرشف أسماء وتفاصيل الشهداء الذين سقطوا في دير الزور، على الرابط: <http://soo.gd/YWBs>

أيام اقتحام المدينة وأفول التحرير الأول

أواخر تموز.. قصف عنيف وضحايا

2011/7/28 اليوم الأول لاقتحام المدينة

2011/7/30 قصف من الجهة الغربية للمدينة من جهة حي الجورة وسقوط العشرات من الضحايا.



بعد السيطرة على حي الجورة، اقتطمت قوات الامن أحياء: الحويقة - القصور الموظفين - الجبيلة وحي العمال.

ونهبت أملاك الأهالي، وسقط العشرات من الضحايا، وتمّ الإعلان عن أن الحيّ بات آمناً من "الإرهابيين" بحسب إعلام النظام آنذاك⁽²⁶⁾.

بعد السيطرة على حي الجورة، توجّهت القوات العسكرية باتجاه الشرق، واقتطمت قطع الجيش أحياء: الحويقة، والقصور، والموظفين، ووصلت طلائع الجيش إلى حي الجبيلة، وتابعت القطع العسكرية تقدّمها باتجاه حيّ العمال، فارضةً سيطرتها بالكامل على هذه الأحياء⁽²⁷⁾. وبعد الانتهاء من عمليات التمشيط وحملات الاعتقال، نشرت قوات الأمن والجيش عناصرها وحواجزها في مداخل الأحياء وفي الساحات العامة، وتقدّمت باقي قطع الجيش باتجاه حي المطار القديم أحد أهم البؤر الثورية في المدينة؛ وهناك، قامت قوات الأسد بقصف منذنة جامع عثمان بن عفان، أحد أهم رموز الحراك الثوري في المدينة، واتخذت قوات الأسد من الجامع مقراً لها، وحوّلتها إلى حاجز عسكري تابع لها⁽²⁸⁾.

ب. حي المطار القديم

ليس مصادفة أن انطلقت أولى مظاهرات مدينة دير الزور من جامع عثمان بن عفان الواقع وسط حيّ المطار القديم، ففي الوقت الذي نجح فيه الناشطون من الخروج من جامع عثمان في أولى مظاهراتهم، كانت العديد من الجوامع الأخرى في المدينة -كجامع الصفا- قد وقفت ضد الناشطين، وفي بعض الأحيان، وكما أوردنا أعلاه، ساهمت هذه الجوامع في التصديّ لهؤلاء الناشطين ومنعهم من الهتاف ضد نظام الأسد.

تكمن أهمية حيّ المطار وتحوّله تدريجياً إلى بؤرة ثورية جمعت وحمت الثوار، في طبيعة الحاضنة الاجتماعية التي ميّزت هذا الحيّ، والتي كانت في مجملها متعاطفة وداعمة للحراك الثوري في المدينة،

²⁶ - مقطع فيديو يظهر قصف قوات الأسد لأحياء مدينة دير الزور بتاريخ 2011-7-31، <https://www.youtube.com/watch?v=MreFa7vpiZs>

²⁷ - مقطع فيديو يظهر إطلاق النار الكثيف من قبل قوات الجيش السوري في حيّ الحويقة، بتاريخ: 2011-8-7، <https://www.youtube.com/watch?v=vxjJSpaYmvo>

²⁸ - شريط فيديو يظهر قصف قوات الأسد لمنذنة مسجد عثمان بن عفان في مدينة دير الزور، بتاريخ: 2011-8-10. <https://www.youtube.com/watch?v=xDGmbjeMMDQ>

وبحسب شهادة ثائر الفرات، في كثير من الأحيان، كان الناشطون يختبئون في بيوت أهالي الحي أثناء هربهم من قوات الأمن السوري، بينما كان الأهالي يمنعون قوات الأمن من دخول منازلهم والبحث فيها عن الناشطين الهاربين.

وبحسب عدة شهادات من سكان مدينة دير الزور، يعتبر حي المطار القديم، حياً حديث النشأة، حيث بني الحي في حوالي بداية الثمانينيات من العقد المنصرم، وكان أغلب سكان الحي، هم من القادمين من الريف القريب إلى دير الزور، والذين استقروا في المدينة مع الوقت، واستملكوا منازل في حي المطار، وأعادوا بناء شبكة علاقاتهم الاجتماعية.

بينما أغلب سكان الحي هم من الموظفين لدى مؤسسات الدولة، أو الذين قدموا إلى المدينة للدراسة، ومن ثم استقروا بها بعد انتهائهم من دراستهم، وأسّسوا فيها أسرهم وحياتهم الخاصة. وتعدّ مدينة أموحسن واحدة من أهم مدن ريف دير الزور التي قدم منها مهاجرون واستقروا فيما بعد في حي المطار. ومن المعروف عن مدينة أموحسن ارتفاع معدلات التعليم فيها، كما من المعروف عن مثقفيتها - وهم كثر- ميولهم اليسارية، حتى أن المدينة كانت تسمى في الأوساط الثقافية السورية بـ "موسكو الصغرى".

مع مضي الزمن، تكوّنت شبكات جديدة من العلاقات الاجتماعية المدنية، إلا أن هذه العلاقات المدنية ظلّت مشدودة بطبيعتها إلى جذورها الريفية والعشائرية بطبيعة الحال، فنشأت روابط متينة في الحي، شكلت فيما بعد "شبكة الحماية الاجتماعية التقليدية" للقاطنين في حي المطار. وعندما قرّر الشبان الانتفاض على نظام الأسد في آذار 2011، ما كان من أهالي الحي سوى دعم أبنائهم ومساندتهم. كل هذا جعل من حي المطار بؤرة ثورية، لن يكتفي بأن يكون الحزن الذي لجأ إليه ناشطو المدينة في مرحلة النشاط السلمي فقط، بل إنه سيتحوّل فيما بعد لبؤرة الكفاح الثوري المسلح في المدينة.

من أجل كل هذا، عمدت قوات الأسد في أكثر من مناسبة إلى اقتحام الحي ووضع حدّ لنشاطات أبنائه المناوئة لنظام الأسد، فاقتمح الحي عدداً من المرات، وشنت الأجهزة الأمنية العديد من حملات المداهمة فيه، واعتقل العشرات من أبنائه، وعندما دخل الجيش إلى المدينة، سارع إلى التوجّه إلى حي المطار القديم، وقام بقصف مئذنة جامع عثمان بن عفان وإسقاطها، في سلوك انتقامي واضح، كان الهدف منه، إسقاط أحد رموز المدينة الثوري. وفعلياً كان سقوط الحي في قبضة قوات الأسد بعد اقتحامها للمدينة، مؤشراً على تمكّنها من السيطرة على باقي أحياء دير الزور وإنهاء مرحلة النضال السلمي فيها.

الباب الثاني: مرحلة الكفاح المسلح... أيلول التحولات

كيف بدأ التسليح؟ وما هي العوامل التي دفعت إليه؟ ومن هم الفئات الاجتماعية التي استقطبها خيار حمل السلاح؟ وماهي النتائج التي ترتبت على ذلك؟

1. أيلول التسليح وولادة كتائب الجيش الحر

في الوقت الذي لم تكن ظاهرة حمل السلاح سائدة بشكل كبير في أوساط المنتفضين، وكان السلاح متوارياً في أغلب الأحيان عن أعين الأهالي، والذي لم يكن يعدو كونه سلاحاً خفيفاً كبنادق الصيد وغيرها، بدأ هذا المشهد بالتغير منذ نهاية شهر تموز سنة 2011، وبحسب شهادة الناشط رامي أبو زين العابدين، في تلك الأثناء، بات من الممكن رؤية شبان ملثمين منتشرين على أطراف المظاهرات التي كانت تخرج ضد نظام الأسد، أو في بعض شوارع المدينة، وبحوزتهم أنواع مختلفة من السلاح، التي لم يخبرها الناشطون من قبل، كقواذف الآر بي جي، والبنادق الآلية، وغيرها من أنواع الأسلحة، وكان من الواضح في تلك الأثناء، أن مشاهدة شبان يحملون السلاح بات جزءاً من المشهد العام للمدينة.



وبين نهاية تموز- آب، وحتى منتصف شهر تشرين أول أكتوبر من عام 2011، لم يذكر حدوث أيّ صدام مسلح واسع بين مجموعات الشبان المنتفضين ونظام الأسد، واقتصر وجود حملة السلاح على التواجد في أطراف المظاهرات بحجة حمايتها، والاشتباك بين الفينة والأخرى مع بعض جنود الأسد بطريقة تشبه إلى حد بعيد حروب العصابات، حيث لم يكن يتعدى الأمر إطلاق بعض الأعيرة النارية من قبل الشبان المنتفضين على جنود الأسد، ويلوذون بعدها بالفرار. وبالاستناد إلى مجموعة من الشهادات، كانت أول عملية صدام بين مقاتلو ما سيصبح فيما بعد "بالجيش الحر" وقوات الأسد،

كانت في حوالي نهاية شهر تشرين أول أكتوبر عام 2011، عندما هاجمت مجموعة من الثوار حاجزاً تابعاً لقوات الأسد.

بحسب رواية ياسر علاوي²⁹، أحد ناشطي دير الزور، والذي ينحدر من مدينة أمو حسن³⁰، في حوالي نهاية شهر أكتوبر، نفذت مجموعة من المقاتلين دعت نفسها في ذلك الوقت بـ "مجموعة الحاج محمود المحيسن"، التي ستصبح فيما بعد كتيبة "عمر بن الخطاب"³¹، والتي سيجري نقاشها لاحقاً، نفذت المجموعة عملية ضد حاجز تابع لقوات الأسد ويدعى "حاجز المريعية"، ويقع على الطريق الواصل بين مدينة أم حسن ودير الزور، بالقرب من مدرسة "المريعية"، المتاخمة لسور مطار دير الزور العسكري.

وكان عرف عن هذا الحاجز، كثرة المضايقات التي تسبب بها لسكان المنطقة، بسبب عمليات التفتيش والتدقيق على جميع العابرين، حتى وصل الأمر في هذا الحاجز بتوقيف طلبة المدارس وتفتيشهم وأخذ أوراقهم.

وفي أحد الأيام، وكما يروي لنا علاوي، كان أحد ضباط النظام، برتبة ملازم، مناوباً على هذا الحاجز، أوقف الضابط سيارة نقل عام تحمل عدداً من المدرسين، وأنزل إحدى المدرسات وصار هاتفاً النقال وحقبتها الشخصية، وقام بتفتيش هذه الأشياء، مما أثار حفيظة المدرسين زملاؤها، الذين اصطدموا مع عناصر الحاجز، الذين وجّهوا للمدرسين الشتائم والإهانات، وتوعدوهم بمزيد من التضيق.

انتشر الخبر بين أهالي مدينة دير الزور، ذات الطبيعة العشائرية، والتي رأت إلى إهانة الحاجز لإحدى فتيات المدينة إهانة لهم، فقرّر على إثر هذه الحادثة مجموعة من شبان الجيش الحر، وتحديدًا شبان كتيبة عمر بن الخطاب، اقتحام الحاجز، وإلقاء القبض على الملائم المسؤول، وتوجيه رسالة عبر ذلك من أجل أن يتوقف عناصر الحاجز من الإساءة لأهالي المدينة.

تمّ التخطيط لهذه العملية في مدينة أمو حسن، القريبة من دير الزور، وفي أواخر الليل من أحد أيام تشرين الأول، تقدّمت مجموعة مؤلفة من تسعة شبان يحملون بنادق آلية، وبضع شبان آخرين لا

29- مقابلة أجراها الباحث مع الناشط ياسر علاوي، بتاريخ: كانون ثاني 2016.

30- مدينة "أم حسن"، وتلفظ هكذا: "مُوحسن"، تقع على بعد 20 كلم شرقي محافظة دير الزور، على الضفة اليمنى لنهر الفرات (الشامية). يجاورها من الغرب قرية العبد ومن الشرق قرية القطعة بحوالي 8 كم ومن الشمال نهر الفرات ومن الجنوب قرية البادية، بطول 10,05 كم. يبلغ تعداد سكانها حوالي 25000 نسمة يعمل معظمهم بالزراعة وتربية الماشية، وتبلغ مساحتها السكنية والزراعية بـ 88000 دونم. تتميز بمستوى تعليمي عال مقارنة بمدن الريف السوري. المصدر: ويكيبيديا.

31- صفحة كتيبة عمر بن الخطاب على الفيسبوك: <http://soo.gd/YtF2>

يملكون أيّ قطعة سلاح، واقتصرت مهمتهم على مراقبة الطريق، وعند اقتراب الشبان من الحاجز، تنبّه إليهم أحد الجنود، وباشر في إطلاق النار عليهم، وجرّت اشتباكات بين الطرفين، أُجبر على أثرها جنود النظام على الفرار من مواقعهم، مما دفع بالشبان إلى اقتحام الحاجز، ومصادرة ما فيه من عتاد وسلاح.

شكل نجاح الشبان في اقتحام حاجز النظام، دافعاً ملهماً للعديد من المجموعات الأخرى، والتي كانت متوارية عن الأنظار في ذلك الوقت، ودفعها إلى بداية تنظيم صفوفها، والبدء بالتخطيط لعمليات عسكرية ضد مواقع تابعة لنظام الأسد، وهو ما شكّل بداية تشكيل كتائب الجيش الحر الأولى في المدينة، والتي كانت كتيبة عمر بن الخطاب أولها، وأتى بعدها بقليل الإعلان عن تشكيل كتيبة "عثمان بن عفان"، ومع بداية عام 2012 أعلن عن تشكيل "كتائب محمد".

2. إرهابات الجيش الحرّ الأولى

تشكلت المجموعات الأولى من الجيش الحرّ في مدينة دير الزور من شبان من عامة الناس، ومن جنود منشقين عن جيش النظام، وكانوا في غالبيتهم ينحدرون من الريف القريب من المدينة، كمدينة أمّوحسن والمريعية والشحيل والقورية، وغيرها من مدن وبلدات ريف دير الزور.

حتى على صعيد تنظيم صفوف هذه المجموعات، وتمكينها من خلال امتلاكها تدريجياً للسلاح والعتاد وبعض التدريبات، كلّ هذا كان يجري في الريف القريب من المدينة. وكان سائداً بين أوساط هذه المجموعات، شبه إجماع، على ضرورة عدم إظهار السلاح بشكل علني في مدينة دير الزور، وذلك خوفاً على الأهالي من انتقام نظام الأسد منهم.

على ضوء هذه التطوّرات التي كان يمور بها الريف القريب من مدينة دير الزور، قرّرت قوات الأسد، أواخر عام 2011، اقتحام أهمّ البؤر الثورية في هذا الريف، وتمّ استهداف مدينة أمّوحسن، والتي ينحدر أغلب أفراد مقاتلي كتيبة عمر بن الخطاب منها، بمن فيهم قائدها الحاج محمود، وغيرها من القرى القريبة بها³².

أرسلت قوات النظام العشرات من المدرعات، من عربات "بي إم بي"، والدبابات وغيرها من المصفحات، برفقة المئات من جنود المشاة، وتمّ اقتحام مدينة أمّوحسن من عدة محاور، وحاول الشبان المتواجدين

³² - مقطع فيديو يظهر قصف قوات النظام لقرية الجردي، بتاريخ: 2011-12-25، على الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=hbefPnDXVdo>

[v=hbefPnDXVdo](https://www.youtube.com/watch?v=hbefPnDXVdo)

في المدينة التصديّ لهذه القوات، إلا أنّه وبسبب عدم امتلاكهم للأسلحة النوعية، أُجبروا على التراجع، ومن ثم الفرار والتواري عن أعين قوات النظام.

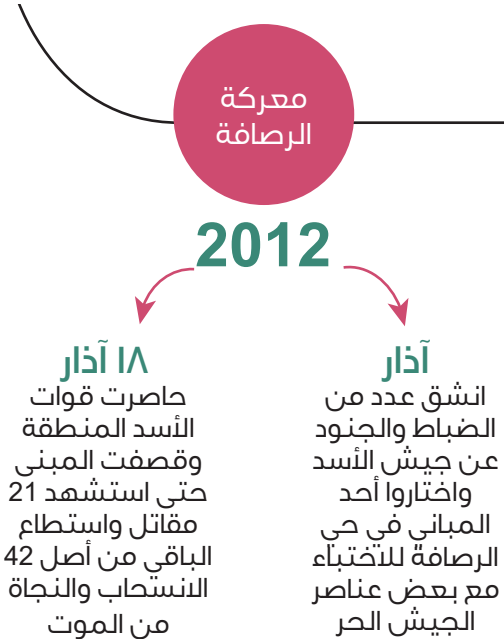
وبحسب شهادة الناشط ياسر علاوي، تعرضت مدينة أموحسن في تلك الأثناء لقصف عنيف من قبل قوات الجيش، والذي تمكن من اقتحام المدينة، ومن ثم تمشيطها حياً حياً، ومنزلاً منزلاً، وشنت حملات اعتقال واسعة بحق المدنيين، وتكرّر الأمر في قرى وبلدات أخرى من ريف دير الزور، فحدث اقتحام لقرية القورية والشحيل وغيرها³³. بسبب كل هذا، تولدت لدى مجموعات الثوار رغبة شديدة بالرد على انتهاكات قوات الأسد بحق أهلهم وعوائلهم، والانتقام منهم بسبب هذه الانتهاكات المتكررة.

وفعلاً، في تاريخ 25-11-2011، قامت مجموعات تابعة "للجيش الحر" بضرب حاجز "دوار غسان عبود" التابع لقوات النظام، وكانت كتيبة "عمر بن الخطاب" على رأس هذه المجموعات، والأكثرها تنظيماً وديناميكياً. ومنذ هذا التاريخ، توالى عمليات الجيش الحر ضد قوات الأسد، واستهدف المقاتلون عبر هذه العمليات تجمعات الجيش على الحواجز العسكرية، والمقار الأمنية، واتبع مقاتلو الجيش الحر تكتيكات تشبه إلى حد بعيد "حرب العصابات"، حيث قسّموا أنفسهم إلى مجموعات صغيرة، تمتاز بسرعة الحركة والمرونة العالية والتي اكتسبها المقاتلون من خلال معرفتهم بأرقة وشوارع مدينتهم، وكانوا يوجهون الضربات لقوات النظام، ثم لا يلبثوا يفرون هاربين، وهو ما شكّل كابوساً لقوات الأسد في تلك الأيام.

استمرت العمليات النوعية "وحرب العصابات" التي اعتمدها الثوار ضد جنود الأسد حتى آذار من عام 2012، حيث لم يذكر حتى ذلك التاريخ وقوع اشتباكات ومواجهات عنيفة تخرج عن إطار تكتيكات الثوار في الضرب والهروب والحرص على عدم الاستحواذ على الأرض، بل البقاء أشبه بالأشباح غير المرئيين، فكان المقاتلون يتحوّلون في النهار إلى مدنيين ويتابعون أعمالهم اليومية، وما إن تغرب الشمس حتى تبدأ عملياتهم المرهقة لقوات الأسد. إلا أنّ هذه المعارك الصغيرة تحوّلت في الثامن عشر من آذار 2012 إلى معركة طاحنة، سقط على إثرها العشرات من الضحايا، بما عرف آنذاك بمعركة الرصافة.

3. معركة الرصافة 2012-3-18

³³ - مقطع فيديو يظهر حملات الاعتقال التي شنتها قوات الأسد ضد المدنيين في قرية القورية، بتاريخ: 2011-12-25: <https://www.youtube.com/watch?v=Ytusi5M-lms>



في آذار من عام 2012 وفي الأشهر القليلة التي سبقت هذا التاريخ، شهدت قوات الأسد حدوث عدد من الانشقاقات في صفوفها، ضباط وصف ضباط وجنود، اختاروا الانشقاق عن الجيش والالتحاق بصفوف الثوار، وكان من بين الضباط الذين انشقوا في ذلك الوقت الملازم أول عبد المعطي محمد الحسن، والذي استشهد فيما بعد في إحدى المعارك بتاريخ 7-4-2012، والملازم أول همام رمضان، والذي كان أحد الناجين من معركة الرصافة. تجمع الضباط والجنود المنشقين ومجموعات من شبان الجيش الحر في منزلين في أحد المباني الواقع في حي الرصافة جنوب شرقي المدينة.

وبحسب رواية ياسر علاوي، وهو أحد الإعلاميين المرافقين لكتيبة عمر بن الخطاب في ذلك الوقت، فإن اختيار الشبان المقاتلين لحي الرصافة للاختباء به، كان بسبب كون الحي متطرفاً قليلاً عن المدينة، حيث يقع في أقصى جنوب شرق المدينة، مما يسهل على المقاتلين الفرار من الحي في حال حدث طارئ ما.

في الساعات الأولى من صباح الثامن عشر من مارس 2012، انتشرت قوات الأسد بشكل كثيف جداً في محيط المنطقة، وبحسب علاوي، كان يتواجد في الشوارع المحيطة والمؤدية إلى حي الرصافة العشرات من الدبابات وعربات "البي أم بي"، وغيرها من المدرعات، بينما انتشر المئات من الجنود في الشوارع، وخلال بضعة ساعات، كانت قوات النظام قد تمكنت من إحكام سيطرتها على المبنى الذي يتحصن فيه الشبان.

في حوالي الساعة التاسعة صباحاً، باشرت قوات الأسد قصفها للمبنى الذي يتواجد فيه المقاتلون، وبحسب الشهادات، قامت إحدى دبابات النظام بإطلاق قذيفة أصابت إحدى الشقق التي كان يتحصن بها الشبان، واستمرت بإطلاق قذائف المدفعية والرشاشات على المبنى؛ وردّ شبان الجيش الحر بإطلاق كثيف من بنادقهم الآلية التي لا يمتلكون غيرها كسلاح في أيديهم.

في تلك الأثناء، كان ياسر علاوي على تواصل مع الشبان المحاصرين عن طريق جهاز الهاتف النقال، والذين أخبروه أنه لا أمل لهم في الخروج أحياء من هذه المعركة، فقوات النظام كانت قد أحكمت

قبضتها على المنطقة، وبات من الصعب الانسحاب والفرار. أخبر المقاتلون ياسر، أن خياراتهم قليلة، وتكاد تنحصر في خيارين: إما أن يسلموا أنفسهم لقوات الأسد ويستسلموا، وإما أن يقاتلوا حتى آخر الطلقات.

اختار الشبان السير في المعركة حتى النهاية، وقرروا القتال حتى آخر نفس في صدورهم، وفي تلك اللحظات التي تغص بالحزن والألم، يقول أحد المقاتلين لياسر عبر جهاز الهاتف: "لا تنسونا أخي ياسر، والله قد حاولنا ما بوسعنا، ولكننا لم نتمكن من فعل شيء، تذكروا وأخبروا أبناءنا أننا لم نستسلم، وأننا قاتلنا بشرف حتى آخر نفس في صدورنا".

كان يتحصن في الشقتين نحو 42 مقاتلاً³⁴، ولا يوجد بحوزتهم سوى بندق آليّة "كلاشينكوف" وبعض القنابل اليدوية، وبعد معركة استمرت لحوالي الأربع ساعات، سقط من الشبان واحداً وعشرين مقاتلاً، بينما تمكن الباقون من الانسحاب والنجاة بحياتهم. وبحسب رواية ياسر حول تلك اللحظات الدامية، كان أن اتفق الشبان فيما بينهم على الانقسام إلى مجموعتين، واحدة تقوم بالانسحاب، والأخرى تغطي انسحابهم؛ وهو ما حدث فعلياً، حيث تمكنت مجموعة من الشبان من الصعود إلى سطح المبنى، بينما قام آخرون بالتمترس في مواقع أخرى من المبنى عبر فتح ثغرات في الجدران تسمح لهم بإطلاق النار باتجاه جنود الأسد، وفيما استمرت هذه المجموعة بالاشتباك مع قوات الأسد، تمكن باقي الشبان من الانسحاب، تاركين خلفهم جثامين رفاقهم الذين قضوا في مواجهة جنود الأسد.

استمرت المعركة حتى منتصف النهار، وفي حوالي الساعة الثانية عشر ظهراً، توقف إطلاق النار بالكامل، وبشكل مفاجئ انسحبت قوات النظام، وأخذت معها الجرحى والقتلى الذين سقطوا في صفوفها، حيث أشارت بعض المراجع إلى سقوط عدد من القتلى في صفوف جنود الأسد من بينهم ضباط برتب رفيعة، مثل الضابط في جهاز المخابرات الرائد أيهم حمد، من مدينة طرطوس على الساحل السوري. وفي هذه الأثناء التي انسحبت فيها قوات الأسد، تمكن ما تبقى من مقاتلين من "الجيش الحر" من الانسحاب من المنطقة، مستخدمين بضعة سيارات كانت موجودة في الحيّ.

عاد الجيش إلى المنطقة مرة أخرى بعد مضي بضعة ساعات، وقام بتمشيط الأبنية السكنية، وصعد بعض جنود الأسد إلى سطح المبنى حيث كانت تتوزع جثامين شهداء الجيش الحر، وبفعل انتقامي لا ينقصه الإجرام، قام الجنود برمي جثث الشهداء من الطابق الخامس من المبنى إلى الشارع العام،

³⁴ لتفاصيل أكثر حول معركة "الرصافة"، راجع التقرير الغني بعنوان: معركة الرصافة ومقتل ابن أخت آصف شوكت، نوافذ المستقبل اللبنانية،

بتاريخ: 2013-1-13، على الرابط: <http://www.almustaqbal.com/v4/Article.aspx?Type=np&Articleid=554633>

على مرأى من أهالي الحيّ، وبعدها تمّ "تكويم" الجثث جميعها داخل سيارة شاحنة فوق بعضهم البعض، وقام الجنود بالتمثيل بالجثث، حتى بات من الصعب التمييز فيما بينها، وأتى إعلام النظام وقام بتصوير جثث المقاتلين باعتبارهم "إرهابيين"، ورفع مقاتلو "الجيش العربي السوري" الذي بات يعرف فيما بعد "بجيش الأسد"، شارات النصر فوق جثامين الشهداء، وانتهت معركة الرصافة، بيد أنها فتحت أبواباً لن تغلق بعد هذا التاريخ، الذي حُفر بذاكرة أهالي مدينة دير الزور.

4. تكوينات الجيش الحر في المدينة (٢٠١١-٢٠١٢)

شكلت معركة الرصافة، التي جرى نقاشها أعلاه، منعطفاً في مدينة دير الزور، على صعيد المواجهات العسكرية بين مجموعات الثوار المسلحة من جهة، وقوات الأسد من جهة أخرى. وذهبت المدينة بشكل عام في سياق مواجهات عسكرية مفتوحة بين هذين الطرفين؛ ومما عزّز من اندفاع القوى الثورية في المدينة من أجل تصعيد عملياتها ضد مواقع النظام، تسارع تبلور الكتائب العسكرية في الريف المحيط بمدينة دير الزور، وتوجّه مقاتليها لاحقاً للانضمام إلى صفوف باقي المقاتلين في داخل المدينة.

أ. المجلس العسكري في دير الزور

أعلن عن تشكيل المجلس العسكري لثوار دير الزور، في تاريخ 13-2-2012، بقيادة المقدم المجاز المنشق مهند طلاع³⁵. وضم المجلس العسكري الناشئ عدداً من الكتائب والمجموعات العسكرية في دير الزور وريفها، ومن أهمها: كتائب محمد، كتيبة عمر بن الخطاب، كتيبة عثمان بن عفان، كتيبة علي بن أبي طالب، كتيبة أسامة بن زيد، كتيبة سعد بن أبي وقاص، وكتيبة أسود التوحيد.

تمثّل دور المجلس العسكري في إيجاد صيغة من صيغ التنسيق فيما بين هذه الكتائب، وإنشاء غرفة عمليات عسكرية مشتركة، ترفع من جاهزيتها وتنسيقها المشترك، من جهة، وإيجاد مصادر تمويل جيّدة ومستقرة، لدعم قدرة هذه المجموعات على الاستمرار، من جهة أخرى.

في تاريخ 7-10-2012، حدثت خلافات بين القيادات الميدانية لهذه الكتائب، من جهة، وقيادة المجلس العسكري المتمثلة بالمقدم مهند طلاع، من جهة ثانية، والذي اتهمه هؤلاء القادة بعدم إيصال المساعدات

³⁵ بيان تشكيل المجلس العسكري في دير الزور، بتاريخ 13-2-2012، على الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=7Va9J8v5oug>

[v=7Va9J8v5oug](https://www.youtube.com/watch?v=7Va9J8v5oug)

والسلاح والذخائر لها، وتمّ عزله فيما بعد وتعيين المقدم الطيار اسماعيل محمد ملا عميري عوضاً عنه، وتم تعيين السيد شجاع صبحي نويجي نائباً له³⁶.

ب. كتيبة عمر بن الخطاب

من أوائل الكتائب التي تشكلت في مدينة دير الزور كانت كتيبة "عمر بن الخطاب"³⁷، وكانت عبارة عن مجموعة صغيرة من الشبان من أهالي حيّ المطار القديم، والذي يعود أغليبيتهم بمنبته إلى مدينة موحسن، والتي، وبحسب الملاحظة، قد تكون هي المكان الذي تم فيه تنظيم صفوف المجموعة، وتحولها فيما بعد إلى كتيبة، باتت تعرف باسم "كتيبة عمر بن الخطاب"³⁸.

أسس الكتيبة الحاج محمود يوسف الأحمد والمعروف بمحمود المحيسن، وهو أحد شبان مدينة موحسن، وكان يعمل مدرساً لمادة الرسم في المدارس الحكومية؛ وبحسب الشهادات، كان الحاج محمود من أوائل من انضم إلى ثورة الشعب السوري في مدينة دير الزور، وكان أحد قادة المظاهرات في حيّ المطار القديم، الذي ينتمي إليه.

مع تنامي قمع قوات الأسد لمجتمع المنتفضين في المدينة، ومع تزايد عدد اقتحامات منازل المدنيين وانتهاك خصوصياتهم واعتقال العشرات من الشبان من أبنائهم، ومع بداية انتشار حمل السلاح في مناطق مختلفة من البلاد، اندفع الحاج محمود إلى حمل السلاح من أجل الدفاع عن النفس، وتجمّع حوله بضعة شبان من حيه، وانضموا إلى مجموعته، والتي كانت معروفة في تلك الأثناء "بمجموعة الحاج محمود".

لم تكن المجموعة تمتلك أيّ نوع من أنواع السلاح النوعي، بل كانت مجمل أسلحتها عبارة عن بنادق "بوم أكشن"، وبعض البنادق الآلية، وبعض القنابل اليدوية، وفي المجمل لم تتجاوز أسلحة أفراد المجموعة السلاح الفردي والخفيف. بينما عملياتها الميدانية، فاقترنت في تلك الأثناء على حماية المظاهرات من خلال انتشار بعض شبانها على أطراف المظاهرة وتأمين هروب المتظاهرين أثناء تصدي قوى الأمن لهم.

³⁶- بيان من القادة العسكريين الميدانيين في إقالة مهند طلاع من قيادة المجلس العسكري، بتاريخ: 2012-10-7، <https://www.youtube.com/watch?v=CIMjtGgmE1A>

³⁷- صفحة كتيبة عمر بن الخطاب على الفيسبوك: <http://soo.gd/YtF2>

³⁸- شريط فيديو يظهر مقاتلي كتيبة عمر بن الخطاب عندما كانت مجرد مجموعة، ويظهر الفيديو صور لقائد المجموعة الحاج محمود، التاريخ:

<https://www.youtube.com/watch?v=mvpjNGMfhbo> :2011-9-1

ورغم أنّ المجموعة الأولى المكوّنة لكتيبة عمر بن الخطاب كانت قد نشأت في أحياء مدينة دير الزور، إلا أنّ تحوّلها اللاحق إلى كتيبة منظمة وتمتلك أنواعاً جديدة من السلاح، كان قد تمّ في مدينة موحسن؛ وهناك فعلياً كان مركز ثقل الكتيبة وحاضنتها الاجتماعية التي تمدّها بالمقاتلين، والذين ينتمون بمجملهم إلى موحسن.

وكما كانت معركة "الرصافة"، عنصراً حاسماً في تاريخ المواجهات المسلحة في مدينة دير الزور، شكلت هذه المعركة أيضاً نقطة فارقة في حياة كتيبة عمر وتطوّر عملها لاحقاً. وبالعودة إلى معركة الرصافة، وأثناء حصار قوات الجيش التابعة لنظام الأسد لشبان الجيش الحر في المبنى الذي كانوا يتحصنون فيه، حاولت في تلك اللحظات التي كانت تجري فيها المعارك، بعض المجموعات التابعة للجيش الحر فك الحصار عن هؤلاء المقاتلين، سعياً إلى مدّ يد العون لهم، عبر تخفيف الضغط عليهم، ومحاولة فتح أكثر من جبهة على مؤخرة قوات الأسد؛ وفي الوقت الذي فشلت فيه العديد من المجموعات في تقديم يد العون للمقاتلين المحاصرين، تمكّن قائد كتيبة عمر بن الخطاب، الحاج محمود، ومعه أحد المقاتلين من كتيبته ويدعى "شحوارو"، من الوصول إلى منطقة القتال، ومن ثم الاشتباك مع قوات الأسد التي كانت منتشرة في محيط المكان.

وبحسب العديد من الروايات³⁹، ممن كتب لهم النجاة من تلك المقتلة- المعركة، قاتل الحاج محمود ببسالة منقطعة النظير، واندفع بكامل شجاعته لمحاولة تقديم يد العون للشبان المحاصرين، واستشهد الحاج محمود أثناء القتال في تلك المعركة، وجرح الشاب الذي كان برفقته "شحوارو"، وشيخ الحاج محمود فيما بعد ودفن إلى جانب رفاقه في مقبرة الحرية، والتي كانت قد خصّصت لدفن شهداء الثورة السورية⁴⁰.

ت. كتائب محمد

تعد "كتائب محمد" إحدى أوائل المجموعات العسكرية التي تشكلت في دير الزور أواخر عام 2011، وهي كحال أغلب الكتائب التي نشأت في المدينة، والتي بدأت كمجموعة صغيرة من الشبان، والذين

39- حول تفاصيل معركة الرصافة، واستشهاد الحاج محمود وباقي رفاقه، راجع التقرير الغني بالتفاصيل، بعنوان: الذكرى الثانية لشهداء ملحمة الرصافة، بتاريخ: 18-3-2013، على مدونة الكترونية باسم: Mohassan Now | شبكة موحسن الآن.

40- مقطع فيديو يظهر تشييع جثمان الشهيد الحاج محمود المحيسن، بتاريخ: 22-3-2012. <https://www.youtube.com/watch?v=2d3MP2o2x3M>

في غالبيتهم ينحدرون من الريف القريب من دير الزور، ومن ثم تحوّلت فيما بعد إلى كتيبة عسكرية، منظمة وتمتلك أنواعاً مختلفة من السلاح.

أُعلن عن تشكيل "كتائب محمد" بتاريخ 27-1-2012⁴¹، وأتى تشكيل الكتيبة، وبالاستناد إلى بيان التشكيل، من أجل "الدفاع عن أرواح وأعراض ودماء أهالي دير الزور"، بالإضافة إلى حماية المدنيين وحماية المظاهرات، والتصديّ "للشبيحة" وقوى الأمن السوري في مدينة دير الزور.

أسس "كتائب محمد" أحد أهالي دير الزور ويدعى "خليل البورداني"، وهو من مواليد قرية المريعية 1972، كان يعمل مدرساً للغة الانكليزية في جامعة الجزيرة الخاصة، كما أنّه كان لاعب كرة قدم في فريق نادي الفتوة الديري. وعرف عن "البورداني" مشاركته النشطة في الحراك الثوري زمن العمل السلمي، وقرّر حمل السلاح هو وباقي رفاقه بسبب تزايد قمع قوات الأسد للمدنيين، وتكرّر الانتهاكات التي ارتكبوها بحق أهالي دير الزور.

خاضت كتائب محمد "العديد من المعارك ضد قوات الأسد التي كانت متواجدة في مدينة دير الزور، وكبدتها الكثير من الخسائر في صفوفها⁴²، أشهرها العملية ضد قوات الأسد في دوار غسان عبود، التي تمخضت عن قتل 27 عنصراً تابعاً لقوات الأسد، وتدمير عربتي bmb وزيل وبيك أب. وفي السادس والعشرين من شهر أيلول سنة 2012، قتل "البورداني" إثر عملية عسكرية، استهدفت مبنى النفوس في المدينة، والذي كان متحصناً فيه⁴³.

ث. كتيبة عثمان بن عفان

تشكّلت كتيبة عثمان بن عفان، والتي ستصبح فيما بعد لواء عثمان بن عفان، أيضاً في حوالي بداية عام 2012، وضمّت العديد من الشبان من مدينة دير الزور ومن ريفها القريب، قاتل شبان الكتيبة أغلب معاركهم في داخل أحياء مدينة دير الزور، وسقط في صفوفهم العديد من الشهداء.

41- مقطع فيديو، يظهر إعلان تشكيل "كتائب محمد"، بتاريخ: 2012-1-27، <https://www.youtube.com/watch?v=Pr9AIR8C1vQ>

42- مقطع فيديو يظهر قائد كتيبة "محمد"، وهو يتحدث بعد تنفيذ عملية عسكرية ضد قوات الأسد، بتاريخ: 2012-6-18، <https://www.youtube.com/watch?v=WpO8dTbv-AI>

43- مقطع فيديو يظهر مقتل البورداني في دير الزور، بتاريخ: 2012-9-26، <https://www.youtube.com/watch?v=HA4Ssde08sl>

قاد الكتيبة بعد تأسيسها، الملازم أول المنشق ثامر محمود عباس السبعاعي⁴⁴، من قرية أم ذويل في ريف دير الزور، وكان السبعاعي قد انشق عن صفوف قوات الأسد في وقت سابق، وكان يخدم على حاجز تابع للجيش في مدينة القصير بالقرب من مدينة حمص وسط البلاد. وفي تاريخ 12-12-2012، تعرّض السبعاعي لإطلاق نار أثناء مواجهات مع جيش النظام بالقرب من مطار دير الزور العسكري، مما أدى إلى استشهاده على الفور⁴⁵.

ج. كتيبة علي بن أبي طالب

من بين المجموعات الأولى التي تشكلت في مدينة دير الزور، كانت كتيبة "علي بن أبي طالب"، وكان محمود الجاسم المعروف بأبي درويش والذي ينتمي إلى عشيرة البوسرايا أحد قادتها الأوائل، والذي استشهد لاحقاً في مدينة دير الزور في حي الجبيلة، يوم الأربعاء المصادف 11-06-2012.

كان "أبو درويش" من الثوّار الأوائل في المدينة، ومن المشاركين النشطين في مظاهراتها، ويروى عنه أنّه كان من بين الذين أسقطوا تمثال باسل الأسد في ساحة الحرية في دير الزور بتاريخ 22 نيسان 2011. اعتقل "أبو درويش" في عام 2011 من قبل مخابرات الأمن العسكري التابعة لقوات الأسد، وأُفرج عنه بعد ثلاثة شهور، وبعد الافراج عنه، التحق بثوار المدينة، وساهم في تشكيل مجموعة مسلحة من الشبان تحت اسم "أسود التوحيد"، وفيما بعد ساهم في تأسيس كتيبة "علي بن أبي طالب"⁴⁶.

ح. لواء الأحواز العربية

أُعلن عن تشكيل لواء الأحواز العربية في 22-4-2012، وضمّ اللواء العديد من الكتائب والمجموعات المقاتلة في مدينة دير الزور وريفها، وشكل أحد أولى المحاولات من أجل توحيد صفوف المقاتلين في جسم عسكري واحد، ومن الكتائب التي ضمّها اللواء: كتيبة سلمان الفارسي، كتيبة علي بن أبي

⁴⁴- مقطع فيديو يظهر انشقاق الملازم أول ثامر السبعاعي، وإعلان تشكيل سرية معاوية التابعة للواء عثمان بن عفان، تاريخ: 4-6-2012، <https://www.youtube.com/watch?v=Ah1JsHDGEyA>

⁴⁵- مقطع فيديو يظهر انشقاق الملازم أول ثامر السبعاعي عن جيش النظام والتحاقه بصفوف الثوار، تاريخ النشر: 27-3-2014، <https://www.youtube.com/watch?v=uw6rvXyzpfc>

⁴⁶- برومو يعرف بشخصية "محمود الجاسم"، بتاريخ: 7-10-2012، على الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=tlgGYtWo9xA>

طالب، كتيبة عز الدين القسام، كتيبة عبد الله بن عمر، كتيبة سعد بن معاذ، كتيبة أبو عبيدة عامر ابن الجراح، كتيبة أبو دجانة، كتيبة معاوية، وكتيبة القدس الشريف⁴⁷.

ويعتبر الملازم أول المنشق فهد عايش العبدالله أحد قاداته الأوائل، والذي استشهد بتاريخ 2012-9-30 أثناء مشاركته في معركة تحرير دوار الحلبية الواقع في منطقة الصالحية (عند مدخل مدينة دير الزور من جهة الحسكة).

تعد المجموعات السابق ذكرها، من أولى المجموعات العسكرية التي حملت السلاح في مدينة دير الزور، إلا أنها لم تكن الوحيدة بطبيعة الحال، بل إن الربع الأول وحتى منتصف عام 2012 كان قد شهد تناسل العشرات من الكتائب والألوية العسكرية، وخصوصاً بعد أن بات أمر التحول من العمل السلمي إلى حمل السلاح أمراً مفروغاً منه، ومن هذه التشكيلات التي نشأت في دير الزور في تلك المرحلة: لواء القعقاع، كتيبة أحرار الخضراء، كتائب الحق، لواء جند الرحمن، كتيبة الأبابيل، جبهة الأصالة والتنمية، كتيبة معاذ الركاض، كتائب المرابطين، واللواء 111.

5. مآلات الجيش الحر

بين المرحلة الممتدة منذ النصف الثاني لعام 2011 وحتى نهاية عام 2012 على وجه التقريب، نشأت مجموعات وكتائب عسكرية مختلفة، اندرجت في عمومها فيما كان يدعى بتشكيلات "الجيش الحر". ولم يكن واضحاً بالضبط في تلك الأثناء الأهداف التي سعت هذه المجموعات إلى تحقيقها، أو الآلية التنظيمية التي تعمل وفقها، سوى مقارعة نظام الأسد وحماية المدنيين، بحسب ما جاء في أغلب التصريحات والبيانات التي صدرت عن هذه المجموعات.

وفي الوقت الذي جرت فيه صدامات بين هذه المجموعات وقوات الأسد داخل مدينة دير الزور، واتخذت هذه الصدامات شكل "حرب العصابات" والتي تهدف إلى إلحاق الضرر بالقوات العسكرية أكثر مما كانت تهدف إلى السيطرة على المكان، فإن هذا الوضع كان على النقيض من ذلك في ريف دير الزور، والذي جنح عموماً باتجاه طرد قوات الأسد من المنطقة، والسيطرة على أغلب القرى والبلدات في هذا

⁴⁷ - مقطع فيديو يظهر الإعلان عن تشكيل لواء الأحواز العربية، بتاريخ: 2012-4-22، <https://www.youtube.com/watch?v=cRzyTPyKQ9A>

[v=cRzyTPyKQ9A](https://www.youtube.com/watch?v=cRzyTPyKQ9A)

الريف، كما حدث في مدينة البوكمال على سبيل المثال، ومدينة الميادين، والتي تمكنت فيهما قوات الجيش الحر من طرد قوات الأسد في وقت مبكر من سنة 2012.

1. التكوين الاجتماعي والطبقي لمجموعات الجيش الحر

إذا ما نظرنا إلى التكوين الاجتماعي الذي ميّز هذه المجموعات التي تشكلت في بداية مرحلة الانتقال من العمل السلمي إلى ما يمكن أن ندعوه "بالكفاح المسلح"، فإننا سنلاحظ بأن أغلب هذه المجموعات

تشكلت من شبان ينتمون إلى فئات مختلفة من المجتمع المحلي للمدينة. فعلى صعيد القيادات التي نظمت هذه المجموعات، سنلاحظ أنّ قسماً منهم لم يكن ذو خبرة عسكرية على الإطلاق، بل على العكس تماماً، فقائد كتيبة "عمر بن الخطاب" الذي جرى نقاشها أعلاه كان مدرساً لمادة الرسم، وقائد "كتائب محمد" كان مجازاً باللغة الإنكليزية ويدرس في إحدى جامعات المدينة؛ بينما القسم الآخر من قيادات الجيش الحر فقد كانوا ضباطاً وصف ضباط في صفوف الجيش السوري، وانشقوا عنه بفعل مجريات الأحداث التالية لانطلاق الثورة، وبحسب أيضاً الملاحظة، فإن غالبية هؤلاء المنشقين من الضباط كان برتبة ملازم أو ملازم أول، وهو ما يشير إلى أنّ هؤلاء الشبان كانوا في بداية طريقهم المهني وأنهم كانوا في مقتبل العمر، حيث تراوحت أعمارهم بين 25 إلى 35 سنة، وهي فئات عمرية شابة بطبيعة الحال.

أغلب المجموعات تشكلت من شبان ينتمون إلى فئات مختلفة من المجتمع المحلي.

● نهاية 2012 بدأت تطراً تغييرات بنيوية على تركيبة الجيش الحر.

● نهاية 2013 حيث سيطرت جبهة النصرة.

بينما على صعيد المقاتلون فهم عموماً من العاملين في أنواع مختلفة من المهن، كصيانة السيارات وأعمال البناء، والتجارة وغيرها من المهن المدنية، وأغلبهم على وجه التقريب، وبحسب الشهادات التي تمّ جمعها حول هذه الفئات، كان لديه حياته الخاصة شبه المستقرة (لديه عمل يزاوله، ومنزل وأسرة.. إلخ). وأنّ أغلب هؤلاء الشبان، كانوا من أوائل الناشطين في الثورة وفي مقدّمة الحراك الثوري في مرحلته السلمية؛ وأنّ أغلبهم، اندفع إلى حمل السلاح والانتماء إلى هذه المجموعات العسكرية بسبب شدة القمع الذي مارسته قوى المخابرات والجيش التابع لقوات الأسد؛ وأنّهم في غالبيتهم، اعتبروا أنّ حمل السلاح، حق مشروع من أجل الدفاع عن النفس.

في هذه المرحلة التي يجري نقاشها (النصف الثاني لعام 2011، وحتى نهاية 2012) تمّ استهداف هؤلاء القادة وهذا الجيل من الناشطين من قبل قوات الأسد. وبحسب قوائم الشهداء، والوثائق الخاصة

بالعديد من الكتائب المقاتلة والتي تمّ الاطلاع عليها، سنلاحظ بأنّ أغلب هؤلاء القادة من الجيل الأول كان قد استشهد بحلول نهاية عام 2012، والأمر أيضاً ينسحب على المقاتلين أنفسهم، والذين تعرّض الكثيرون منهم للقتل أثناء المعارك، أو أنه أصيب إصابة جعلته عاجزاً عن الاستمرار بلعب دوره القتالي، أو أنه وقع بين أيدي قوى المخابرات وبات في قوائم المفقودين.

تشير هذه الملاحظة، إلى أنه ومع نهاية عام 2012، بدأت تطراً تغييرات بنيوية على تركيبة التشكيلات العسكرية المعارضة، فمع تلاشي الجيل الأول من "الجيش الحر"، والذين وكما أسلفنا استشهد عدداً كبيراً منهم أثناء المعارك، تولّد جيل ثاني من المقاتلين، وقادة جدد، شكّلوا ملامح التشكيلات العسكرية الجديدة، وكانوا العلامة الأبرز لمرحلة العمل العسكري الممتد بين نهاية عام 2012، وحتى نهاية عام 2013، حيث سيطر بعد هذا التاريخ تنظيم جبهة النصرة على المشهد السياسي في دير الزور، وهو ما سنتوسع به في سياق البحث.

ب. فيروس التمويل وتسلسل المال السياسي

فيروس التمويل وتسلسل المال السياسي

- كان التمويل ذاتياً
- بعدها حل مجلس ثوار دير الزور كأحد مصادر التمويل.
- في النصف الثاني من 2012 بدأت تظهر مجموعات عسكرية دُعيت "بالألوية"، صُعّب معرفة مصادر تمويلها.

كباقي تجليات الحراك الثوري في دير الزور كما مناطق سوريا عموماً، خضعت التكوينات العسكرية الأولى للحراك الثوري لديناميات عالية، وطراً عليها الكثير من التغييرات، وكانت هذه التغييرات عموماً مشروطة بمجموعة معقدة من العوامل، منها استشهاد الكثير من القادة الأوائل للحراك الثوري، ومنها اشتداد عنف المعارك وطول زمنها، وانعكاس كل هذا على أفكار وتصوّرات المقاتلين؛ بيد أنّ الأكثر أهمية في هذا السياق، كان تسلسل المال السياسي إلى صفوف الثوار، وذلك بسبب التكاليف العالية للعمل المسلح، وما يتطلّب من تمويل دائم ومن مصادر يعجز عنها الأفراد.

ففي الوقت الذي كانت تموّل فيه العمليات الأولى "للجيش الحر" عبر شبكات العلاقات الاجتماعية، كالتبرّعات على سبيل المثال، أو التصرف بالمدخرات الخاصة للمقاتلين.. إلخ، أو حتى بالاستحواذ على أسلحة وذخائر جيش الأسد، بات هذا الأمر مع طول فترة المعارك، أمراً غير مجدي من أجل ضمان استمرار هؤلاء المقاتلين في تنفيذهم لمهامهم. ومن هنا، كان لا بد من البحث عن مصادر تمويل أكثر قوة وأكثر استقراراً وديمومةً.

تشكل مجلس ثوار دير الزور بداية الأمر خارج سوريا، وضمّ أشخاص مثل ياسر علوني المعروف بولائه لدولة قطر، وعلاقاته الوطيدة مع تنظيم القاعدة، وهو ابن دير الزور، والتي كان قد غادرها قبل سنوات طويلة، وسعى إلى تأمين مصادر تمويل للكتائب العسكرية التي انضوت تحت إمرته. وبعد وقت قصير، تسلّلت النزاعات إلى صفوف المجلس العسكري، والذي فقد مع الوقت ثقة أغلب الكتائب العسكرية المقاتلة، والتي اتهمته بالفساد وسرقة أموال الداعمين.

وفي غياب الوثائق والشهادات التي يمكن أن تلقي الضوء حول آليات التمويل ودورها في التحولات التي طرأت على مجمل التكوينات العسكرية للثورة السورية كما لمدينة دير الزور محور هذا النقاش، كان لا بد من الاستناد على التأمل والملاحظة في سياق محاولتنا فهم الديناميات التي وقفت وتقف اليوم خلف مجمل التحولات التي طرأت على الحراك الثوري خلال الأعوام القليلة الماضية.

بداية، وكما أشرنا، كان التمويل بالنسبة لأغلب المجموعات العسكرية، تمويلاً "ذاتياً"، وفيما بعد، وعندما ازدادت أعداد المقاتلين، وازدادت معها حدّة المعارك، احتاج الأمر إلى تمويل خارجي، فحلّ مجلس ثوار دير الزور في هذه المرحلة كأحد مصادر التمويل. وحتى حوالي منتصف عام 2012، لم يكن من الممكن تلمّس أثر التمويل على خطاب وممارسة هذه الكتائب، والتي كانت في عمومها تجهر بانتمائها للجيش الحر من جهة، وإلى مبادئ ثورة السوريين في الحرية والكرامة من جهة أخرى. كان من الصعب في هذه المرحلة، الوقوع على كتائب ذات توجّه "عقائدي" إسلامي على وجه التحديد، وذلك رغم التسميات ذات الدلالة الإسلامية التي وسمت أغلب هذه الكتائب.

انكسرت العلاقة بين مجلس ثوار دير الزور من جهة، وكتائب الجيش الحرّ من جهة أخرى، وانسحبت أغلب المجموعات من صفوف المجلس العسكري؛ وتعدّ هذه الملاحظة نقطة فارقة في تاريخ التحولات التي يجري رصدها على صعيد التشكيلات العسكرية المعارضة، فمنذ حوالي النصف الثاني لعام 2012، بدأت تظهر مجتمعات عسكرية كبرى، دعيت "بالألوية"، كلواء القعقاع، ولواء الأحواز وجبهة الأصالة والتنمية وغيرهم العديد، والتي ضمت العديد من الكتائب والمجموعات الصغيرة في صفوفها. وكان من الصعب معرفة مصادر تمويل هذه التشكيلات الكبرى معرفة دقيقة، إلا أننا نستطيع أن ننظر إلى الأمر بشكل معكوس، ونقارن بين التحولات التي راحت تطرأ على الخطاب السياسي والإعلامي لهذه المجموعات وبرزت هذه الجهات التي كان من المحتمل أنّها تقف خلف تمويلها.

ففي هذه المرحلة، النصف الثاني من عام 2012، بدأ الخطاب الإسلامي المتشدّد بالظهور، وبدأ هذا الخطاب يشكل بنية الهوية التي راحت تظهر عبرها هذه التشكيلات العسكرية؛ ورويداً ورويداً بدأ

يضمحل مصطلح "الجيش الحر" المدعوم من قبل فئات واسعة من مجتمع الثورة، وتحلّ محلّه تسميات وتوصيفات أخرى وبدلالات إسلاموية. وفي هذه المرحلة أيضاً تمّ استبدال الأهداف المعلنة لمجموعات الجيش الحر، من اعتناقها بداية الأمر لمبادئ ثورة شعبها، إلى أهداف تتحدّث تالياً عن خلافة إسلامية ما، ودولة خلافة، وخطاب طائفي من كل حذب وصوب.

ولم يكن الأمر حكرًا على الخطاب العام لهذه التشكيلات بل أصاب أيضاً لغتها ومفرداتها السياسية وحتى راياتها، وهنا تمّ استبدال مصطلح "قوات الأسد" بـ "النصيرية"، في إشارة إلى الطائفة الدينية التي ينتمي لها الرئيس الأسد، والعديد من هذه التغييرات على صعيد الخطاب واللغة المحايثة له، كما تمّ استبدال "علم الثورة" بمجموعة من الرايات والتي كانت في غالبها ذات مدلولات إسلامية؛ وضمحل مع الوقت مصطلح "الجيش الحر"، والذي كان يحظى بإجماع من قبل عموم مجتمع الثورة في سوريا، وحلّ محلّه تشكيلات عسكرية تجهر بانتمائها العقائدي الإسلامي.

فتحت هذه التغييرات لاحقاً الباب أمام تسلّل أكثر التنظيمات الإسلامية تطرفاً إلى صفوف الثورة السورية، وتحوّلها مع الوقت إلى طرف بات من الصعب التخلّص منه.

الباب الثالث: زمن التطرف والإسلام السياسي

1. إسلام متشدد يمهد الطريق لآخر أكثر تشدداً

بحسب الملاحظة، وبالاستناد إلى العديد من الشهادات التي أتيح للباحث الاطلاع عليها، مرّت مرحلة "التسليح"، وهي المرحلة الممتدّة منذ حوالي تموز/آب من عام 2011 وحتى سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية على المشهد العسكري في محافظة دير الزور، بمراحل متعدّدة ومختلفة.

تنقسم مرحلة ما بعد اضمحلال "الجيش الحر" إلى ثلاث مراحل، تتوزّع عليها قوى عسكرية مختلفة من حيث الشكل، متشابهة من حيث المضمون، وهي: مرحلة الكتائب الإسلامية المتشدّدة، مرحلة سيطرة جبهة النصر، وأخيراً مرحلة تنظيم الدولة الإسلامية المعروف تهكماً بـ "داعش".

أ. التشكيلات الإسلامية المتشدّدة

في النصف الأول من عام 2012 تصدّرت تشكيلات الجيش الحر المختلفة المشهد العسكري في دير الزور، واقتصر دور هذه التشكيلات في أغلب الأحيان على محاولة حماية المظاهرات ومنع قوى الأمن من مهاجمة المتظاهرين، بالإضافة إلى توجيه ضربات لحواجز الجيش المنتشرة في أماكن مختلفة من المدينة. وكان واضحاً وبالاستناد إلى شهادات العديد من الناشطين في المدينة، أنّ هذه التشكيلات كانت تقف بحزم ضد دخول مدينة دير الزور وانتشار مقاتليها علانية في المدينة، وذلك بسبب رغبة هذه التشكيلات في عدم توريث المدينة وسكانها في صراع عسكري مفتوح مع قوات النظام.

وبالاستناد إلى شهادة ثائر الفرات الذي جرى ذكره في المتن، فإنه في هذه المرحلة، أي في نهاية النصف الأول من عام 2012، حاولت بعض الجهات المموّلة وعلى رأسها مجلس ثوار دير الزور، والذي كان يتزعمه صحفي قناة الجزيرة الفضائية تيسير علوني، دفع تشكيلات الجيش الحر إلى اقتحام مدينة دير الزور، والسعي من أجل السيطرة عليها.

رفضت أغلب الكتائب التي كانت منضوية تحت إمرة المجلس العسكري بقيادة مهند الطلاع، والذي جرى نقاشه في الباب



حزيران 2012

- باتت المدينة هدفاً لقوات التشكيلات العسكرية المعارضة.
- سارع نظام الأسد إلى سحب حواجزه من العديد من القرى القريبة وأحياء المدينة.
- بدأت عمليات القصف بالسلاح الثقيل.

السابق، دخول المدينة والخوض بعملية "تحرير"، رأى أغلب قادة هذه المجموعات أنه لا مبرر لها. في هذه الأثناء، ومع حلول بداية النصف الثاني من عام 2012، قبلت العديد من المجموعات العسكرية والتي تنظمت في مجملها في الريف القريب من دير الزور، والتي تتبع بتمويلها إلى المجلس ثوار دير الزور، بالدخول إلى المدينة وإظهار المقاتلين لسلاحهم على الملأ وبدء عمليات السيطرة عليها.

لم تنشأ هذه المجموعات من العدم، ولم تتأسس في منتصف عام 2012، بل إنَّها كانت موجودة فعلياً قبل هذا التاريخ، وبالاستناد إلى الشهادات التي أُتيح للباحث الاستماع إليها، كانت هذه المجموعات موجودة فعلياً في الريف القريب من دير الزور وفي بعض أحياء المدينة، إلا أنَّها كانت موجودة "كخلايا نائمة"، ففي الوقت الذي كانت فيه كتائب الجيش الحر تخوض المعارك ضد قوات الأسد، وتستنفذ إمكاناتها ومقاتليها، كانت تلك المجموعات تعمل على استقطاب المزيد من المقاتلين، وتقوم بجمع الأسلحة والذخائر والآليات العسكرية، وتمدُّ صلات الاتصال مع مجموعات الممولين في الخارج. وعندما بدأت تشكيلات الجيش الحر بالتراجع بسبب نقص التمويل، ورفضها الخضوع لأيّ أجنادات لا تتوافق مع توجُّهها، ظهرت تلك التشكيلات العسكرية على سطح المشهد، وظهر معها خطابها الإسلامي، والذي تراوح في تلك الأثناء بين معتدل -نسبياً- كجبهة الأصالة والتنمية، ومتشددة كحركة أحرار الشام وأحفاد الرسول وغيرها.

في حوالي حزيران من عام 2012، بدأت مدينة دير الزور فعلياً تشهد عمليات عسكرية شبيهة بتلك التي كانت تشهدها بعض المدن السورية كحمص مثلاً. وما حذرت منه تشكيلات الجيش الحر في وقت سابق، وقع فعلياً، فخلال هذه الفترة، والتي باتت فيها دير الزور هدفاً لقوات التشكيلات العسكرية المعارضة، سارع نظام الأسد إلى اعتماد تكتيكاته التي اتبعها في باقي المدن السورية، حيث سارع إلى سحب حواجزه من العديد من القرى القريبة، كما سحب العديد من الحواجز المنتشرة في أحياء المدينة، وبدأ عمليات قصف الأحياء بالسلاح الثقيل.

خاضت التشكيلات العسكرية معارك عنيفة ضد قوات الأسد، وهاجم نظام الأسد الأحياء المدنية بعنف كبير أدى إلى سقوط العشرات من الضحايا في أوساط المدنيين والذين خسروا أموالهم وأرواح أحببتهم، وأجبروا فيما بعد إلى النزوح عن المدينة بعد أن كانوا هم من يستقبل النازحين في وقت قريب.

يتهم الشهود الذين استمعنا إلى روايتهم هذه التشكيلات العسكرية، ومن يقف خلفها من ممولين "بالخيانة"، ويعتقدون بأنَّه يتوجب محاكمتهم في يوم من الأيام، إذ لا أحد وحتى اليوم يدرك المغزى الحقيقي من خيار دخول هذه التشكيلات العسكرية إلى مدينة دير الزور. فحتى لحظة "تورط" المدينة

بالعمل العسكري، كانت النشاطات السلمية في ذروتها، وكان الناشطون حتى ذلك الوقت يخرجون في مظاهرات تضم الآلاف من الأهالي المعارضين لحكم الأسد.

كما كانت المدينة وحتى ذلك الوقت قبلة النازحين، وتحديداً تلك العوائل الهاربة من الحرب الطاحنة في شوارع مدينة حمص وسط البلاد وغيرها من المدن السورية المنكوبة. والذين وجدوا في دير الزور ملجأً لهم ولأطفالهم، حيث استقبلتهم عوائل المدينة بكل شهامة وشجاعة، إلا أن هذا المشهد بكليته بدأ بالاضمحلال تدريجياً منذ حزيران عام 2012، حيث تحوّلت المدينة إلى ساحة قتال، وتحول المضيفون إلى نازحين يهيمنون على وجوههم.

ب. جبهة النصرة

في حوالي منتصف عام 2012، وبحسب رواية ثائر الفرات، والذي تم مقارنة شهادته مع العديد من المراجع المكتبية، ظهرت أول مجموعة تابعة لجبهة النصرة في بلدة "الشحيل" 48 الواقعة في ريف دير الزور الشرقي. ولم تكن هذه المجموعة سوى بضعة أفراد يعملون على تنظيم واستقطاب المزيد من المقاتلين إلى صفوفهم. ووفقاً للمرويات التي تسرد قصة تكوين ونشوء جبهة النصرة في سوريا، فإن هذه المجموعات الصغيرة التي انتشرت في بعض مناطق ريف دير الزور، أتت وتشكّلت في سوريا بأمر من تنظيم القاعدة في العراق، وأنها كانت أقرب إلى أن تكون مجموعات استطلاعية في المنطقة.

تشكلت مجموعات النصرة من مقاتلين في غالبيتهم من أبناء المنطقة، وربما يكون هذا السبب الذي جعل وجودها مقبولاً من قبل باقي تشكيلات الجيش الحر،



مرحلة سيطرة جبهة النصرة

في 2012/6/25

تم الإعلان عن تشكيل جبهة النصرة بقيادة أبي محمد الجولاني

● بداية 2013

بدأت جبهة النصرة عملياتها ضد نظام الأسد في ريف دير الزور

● نهاية 2013

سيطرت على مساحات واسعة من قرى دير الزور

● في 2013

أعلن الجولاني مبايعته لأئمن الظواهري وبذلك باتت جبهة النصرة فرع تنظيم القاعدة في سوريا

● أيار 2014

تمكن تنظيم داعش من طرد جبهة النصرة والسيطرة على دير الزور

48- الشحيل: قرية تتبع ناحية البصيرة في دير الزور، تقع على ضفاف نهر الفرات شرقاً ويصب حيث تكون ملتقى النهرين الخابور والفرات ويصب نهر الخابور في أول المدينة من جهة البصيرة. يغلب على مدينة الشحيل الزراعة، لذلك أكثرهم يعملون كمزارعين. يحد المدينة من جهة الغرب نهر الفرات حتى نهايتها، ومن جهة الشرق منطقة الحوايج، ومن جهة الشمال البادية السورية إلى حدود العراق. تبعد مدينة الشحيل عن محافظة دير الزور 45 كم، وعن مدينة الميادين 10 كم. وعن مدينة البوكمال 95 كم. وتعد مدينة الشحيل من أكبر المدن في الدرجة الثالثة، في المحافظة : ومساحة الشحيل 36000000 مليون متر مربع و36000 دونم تقريباً. وتعداد سكانها 14005 نسمة. المرجع: ويكيبيديا.

والتي وإن لم تثر إشكالية وجود جبهة النصر في المنطقة إلا أنها تعاملت معها بكثير من التحفظ بسبب انتمائها لتنظيم القاعدة الدولي.

لم يذكر تنفيذ جبهة النصر في المرحلة الممتدة بين منتصف ونهاية عام 2012 لأيّ عمليات عسكرية نوعية ضد نظام الأسد، كما أنّ خطابها السياسي لم يخرج عن إطار "نصرة أهل الشام" كتبرير لوجودها في سوريا. لجملة هذه الأسباب، لم تعتقد المجموعات العسكرية التي كانت سائدة في ذلك الحين بأيّ خطر يهددها من قبل جبهة النصر، وهو ما وفر المناخ المناسب للجبهة من أجل "تمكين" وجودها ورصّ صفوفها، تهيئاً للمرحلة المقبلة والتي ستصبح فيها النصر هي القوّة الضاربة في دير الزور وريفها.

• لمحة حول تكون جبهة النصر

يختلف سياق تشكّل جبهة النصر، عن سياق نشوء التكوينات العسكرية والسياسية السورية الأخرى، وذلك قد يعود إلى أنّ جبهة النصر تنتمي بالأصل إلى تنظيم سياسي وعسكري راسخ ومبلور ومهيكل، ولديه الخبرة التي تمتد لسنوات طويلة، وهو تنظيم القاعدة وفرعه تنظيم القاعدة في العراق، وهو ما قد يفسر السرعة الملفتة لتغلغل تنظيم الجبهة داخل سوريا ومباشرته عمليات القتال ضد قوات الأسد بزمن قياسي⁴⁹.

من الصعب الفصل بين تنظيمي الدولة الإسلامية بقيادة أبي بكر البغدادي، وتنظيم جبهة النصر، بقيادة أبي محمد الجولاني.

فالجبهة خرجت من عباءة تنظيم الدولة، وذلك بعد أن كلّف أبي بكر البغدادي الجولاني بتشكيل خلايا ومجموعات تابعة للتنظيم في سورية، كما أنّ ذلك ينطبق على تنظيم الدولة والذي كان يعد امتداداً لتنظيم القاعدة العالمي والذي أمر -أيّ تنظيم القاعدة- بتشكيل تنظيم تابع له في العراق سنة 2003 بقيادة أبي مصعب الزرقاوي.

كلا التنظيمين يعتبران امتداداً لتنظيم القاعدة بقيادة د. أيمن الظواهري في كلّ من العراق وسوريا، وذلك قبل أن يذب الخلاف بين هذه الفصائل ويتحوّل أصدقاء الأمس إلى الألدّ الأعداء.

49- لمزيد من التفاصيل حول تنظيم جبهة النصر، راجع للمؤلف بحث بعنوان: "جبهة النصر سلطان الله على الأرض"، المنشور في مركز دراسات الجمهورية للدراسات الديمقراطية، بتاريخ: 12 نوفمبر 2014.

في عام 2011 اعتمد تنظيم دولة العراق الاسلامية على أبي محمد الجولاني في سوريا، وكان أحد قادة التنظيم الموثوق بهم، والذي كُلف بالإشراف على السلفيين الجهاديين في سوريا وتنظيم صفوفهم، وفي عام 2012 وتحديداً في 25 حزيران، تم الإعلان لأول مرة عن تشكيل "جبهة النصر"⁵⁰، والتي باشرت بتنفيذ مجموعة من العمليات الانتحارية داخل سوريا وتحديداً في العاصمة دمشق، مستهدفة مقرات أمنية وحكومية تابعة لنظام الأسد.

لا يوجد معلومات موثقة حول شخصية أبي محمد الجولاني زعيم جبهة النصر، وهذا الأمر ينطبق على أغلب التفاصيل المتعلقة بتنظيم جبهة النصر، كمصادر التمويل وعدد المقاتلين والشخصيات الحقيقية للقادة من الصف الأول والثاني؛ إلا أنه برزت بعض التسريبات من قبل بعض المقاتلين الذين عملوا في صفوف الجبهة وانشقوا عنها فيما بعد، بالإضافة إلى بعض التقارير الاستخباراتية والتي كشفت القليل عن أسرار تنظيم جبهة النصر.

وبغض النظر عن الرواية التي تتحدث عن اعتقال المخابرات السورية للجولاني بعد عودته من العراق، ومن ثم إطلاق سراحه عام 2011 مع باقي زملاء الجهاد في تلك الأثناء، فإن الجولاني لم يسمع به في سورية إلا في أواخر عام 2011 وارتبط اسمه بجبهة النصر، بصفته المسؤول عن والمؤسس لهذا التنظيم.

في أواخر عام 2011، باشرت الجبهة بتكوين خلايا تابعة لها في سوريا، ولم يذكر، وحتى تاريخ نيسان 2012، صدور أي بيان يعلن عن وجودها، وبعد هذا التاريخ الأخير أصبحت النصر جزءاً أساسياً من الصراع الدائر في سوريا، بداية الأمر كفصيل "أتى لنصرة أهل الشام"، وفيما بعد كمكوّن سوري أساسي في الصراع الدائر.

• تمدد جبهة النصر

مع بداية عام 2013، بدأت جبهة النصر عملياتها ضد نظام الأسد في ريف دير الزور، وبحسب ثائر الفرات، شكلت عمليات النصر نقطة تحوّل في المدينة وريفها، لما شكلته تلك العمليات من ضغط كبير على قوات الأسد. وفعلياً اعتمدت النصر في مواجهاتها مع نظام الأسد في تلك الأثناء على تنفيذ العمليات الانتحارية والمفخخات وغيرها، والتي أودت بحياة العشرات من مقاتلي نظام الأسد. وعملياً، وبالاستناد إلى أغلب المراجع الالكترونية، لم تباشر جبهة النصر عملياتها القتالية وتنفيذ عمليات

⁵⁰ يقول الجولاني في بيان بثته جبهة النصر: "تعالت أصوات النداء لأهل الجهاد، فما كان منا إلا أن نلبي النداء ونعود إلى أهلنا وأرضنا من الشهور الأولى لاندلاع الثورة".

التفجير داخل مدينة دير الزور سوى في نهاية النصف الأول من عام 2013، وهي المرحلة التي بدأت تبرز فيها النصر كقوة مقاتلة على الأرض بات يحسب حسابها⁵¹، وكان من الواضح في ذلك الوقت أنّ أنظار النصر باتت موجهة للاستيلاء على مدينة دير الزور.

حتى ذلك التاريخ من عام 2013، عملت جبهة النصر بتنسيق كبير مع أغلب المجموعات العسكرية المقاتلة في المنطقة بما فيها بعض مجموعات الجيش الحر المتبقية، إلا أنّ النصر بدأت تدريجياً تفرض أسلوبها على المناطق التي تسيطر عليها في الريف، فنشأت العديد من الهيئات الشرعية، والدورات الشرعية أيضاً، وحاولت أن لا تتدخل بشكل مباشر بحياة المجتمع المحلي اليومية، وتجنبت قدر الإمكان عدم الاحتكاك مع هذا المجتمع، وهو أسلوب اعتمدته النصر في أغلب أماكن تواجدها في سورية، والذي سيتغير لاحقاً بعد أن تصبح القوة الضاربة الأولى في هذه المناطق.

مع نهاية عام 2013 تكثفت عمليات النصر بشكل كبير ضد قوات الأسد، وتمكنت من السيطرة على مساحات واسعة من قرى دير الزور، وتحديداً تلك المناطق التي تتوفر فيها آبار النفط والغاز، والتي باتت جميعها على وجه التقريب تحت سيطرة النصر من دون منافس.

استمرت عدد من التشكيلات العسكرية بالعمل إلى جانب النصر، إلا أن هذه التشكيلات كانت في مجملها قد باتت محسوبة على التيار الجهادي السوري، كالجبهة الإسلامية وما تضمه من تشكيلات عسكرية جهادية، وحركة أبناء الإسلام الذي أعلن عن تشكيله بتاريخ 8-6-2013⁵²، والذي يضم مجموعة كبيرة من التشكيلات العسكرية الإسلامية كجيش التوحيد، وكتائب الأنصار وكتائب الصاعقة.

• النصر وداعش والصراع على النفوذ

حتى فترة الإعلان عن تشكل جبهة النصر ومباشرة تنفيذ عملياتها في سوريا، لم يبرز إلى السطح أيّ حوادث صدامية بينها وبين تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، بل على العكس من ذلك، إذ اعتُبرت النصر في تلك الأثناء امتداداً لتنظيم الدولة الإسلامية في سوريا، وأنّ أبي محمد الجولاني لا يعدو كونه "قائداً" مكلفاً من قبل أبي بكر البغدادي، وذلك حتى تاريخ إعلان البغدادي في نيسان 2013 عن توحيد تنظيمي الدولة والنصرة في كيان واحد، وما استتبعه ذلك من ردود أفعال من قبل الجولاني،

51- عملية انتحارية نفذتها جبهة النصر في مدينة دير الزور بتاريخ: 6-5-2013، على الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=I5VVcf6IXQw>

52- فيديو يظهر الإعلان عن تشكيل حركة أبناء الإسلام، بتاريخ 12-6-2013، على الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=NzdgC5RbK6M>

الذي نفى علمه بهذا القرار وأصدر بياناً "مضاداً" ينفي فيه التّوحد مع تنظيم الدولة، وكردة فعل براغماتية أعلن الجولاني في تلك الأثناء مبايعته للدكتور أيمن الظواهري قائد تنظيم القاعدة، وبذلك باتت جبهة النصرة فرع تنظيم القاعدة في سوريا من دون أي التباس بالأمر⁵³.

منذ هذا التاريخ، بدأ الصراع الضاري بين النصرة وتنظيم "داعش"، بداية كصراع على الشرعية، وتالياً كصراع على النفوذ وأبار النفط والغاز. خلال عام 2013، نشأت تحالفات وصراعات شديدة بين الفصائل العسكرية، فحدث تقارب بين التشكيلات العسكرية الإسلامية المتشددة وجبهة النصرة، في مواجهة تمدد تنظيم "داعش" الذي تمكن خلال تلك المرحلة من فرض وجوده في المنطقة، مجبراً أغلب المجموعات العسكرية في ريف دير الزور على مبايعته بما فيها بعض المجموعات التابعة لجبهة النصرة ذاتها.

في هذه الأثناء التي كانت فيها الفصائل العسكرية المختلفة تتقاتل فيما بينها، كان نظام الأسد ما يزال فاضلاً سيطرته بشكل شبه كامل على مدينة دير الزور وأحيائها، ورغم العمليات القتالية التي كانت تنشأ ضد نظام الأسد داخل المدينة، إلا أنه تمكن من الحفاظ على سيطرته على المنطقة من دون أن يشعر بتهديد حقيقي من قوات المعارضة المختلفة.

تسيّدت الصراعات بين النصرة وحلفائها من جهة، وتنظيم الدولة الإسلامية "داعش" من جهة ثانية، مشهد الصراع العسكري منذ نهاية عام 2013 وحتى حوالي أيار من عام 2014، حيث تمكن تنظيم "داعش" من طرد جبهة النصرة ومعها باقي الحلفاء من مدينة دير الزور وريفها. وبات تنظيم "داعش" هو القوة الضاربة والوحيدة في دير الزور ريفاً ومدينةً، فاضلاً سيطرته على القرى والبلدات، ومعها كل الثروة النفطية في المنطقة.

ت. تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"

منذ البداية، اعتبرت بلدة "الشحيل" مقراً لتنظيم جبهة النصرة في شرق سوريا، ومركز انطلاق عملياتها، حتى أن المقاتلين الأوائل الذين انضموا إلى النصرة كانوا جلهم من بلدة "الشحيل"؛ في تموز من عام 2014، تمكن تنظيم داعش من طرد مقاتلي النصرة وقادتهم من بلدة "الشحيل"، كان ذلك بمثابة اقتلاع أي وجود للنصرة في المنطقة الشرقية من سوريا، في ريف دير الزور وريف محافظة الرقة المتاخمة لها. ومع حلول منتصف تموز من ذلك العام كان تنظيم "داعش" قد تمكن من السيطرة

53- "يمكن القول أن جبهة النصرة تمثل أصول تنظيم القاعدة الأكثر قيمة"، تشارلز ليستر وويليام مكانتس، الحرب الأهلية السورية: الحالة السياسية والعسكرية، مركز بروكنجز الدوحة.

لا إله إلا الله

الله
رسول
محمد

مرحلة تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)

منتصف 2014

- حتى كتابة هذه الورقة شكل تنظيم داعش كابوساً أطبق على رقاب أهالي دير الزور
- ارتكب العديد من المجازر مثل مجزرة الشيعيات في:
أيلول 2014
رام ضحيتها أكثر من **700** شخص قتل معظمهم ذباً.

على كامل المناطق التي كانت تسيطر عليها "جبهة النصرة" والكتائب الإسلامية في مدينة دير الزور⁵⁴.

بعد أن سيطرت قوات تنظيم "داعش" على مجمل ريف دير الزور، دخل مقاتلو التنظيم إلى مدينة دير الزور عبر معبر السياسية، وبحسب الشهادات تمكن التنظيم في تلك الأثناء من السيطرة على أغلب أحياء المدينة، كالشيخ ياسين والعرضي والعرفي والحيقة الشرقية والحميدية، وجزء من الحويقة الغربية، وأجزاء من الرشدية والموظفين والجبيلة والصناعة والمطار القديم والرصافة والعمال.

ومع الوقت، تلاشت أغلب التشكيلات العسكرية التي كانت متواجدة في دير الزور، بما فيها التشكيلات الأكثر تشدداً، ومن تبقى منها أُجبر على مبايعة تنظيم "داعش" وإعلان الولاء له، أو ترك السلاح والانسحاب من العمل العسكري.

في هذه المرحلة التي يجري نقاشها، وهي المرحلة الممتدة بين منتصف عام 2014 وحتى كتابة هذه الورقة، شكل تنظيم "داعش" كابوساً أطبق على رقاب أهالي محافظة دير الزور، وما فشل فيه نظام الأسد في كسر عزيمة أهالي المنطقة نجح فيه تنظيم داعش. حيث ارتكب التنظيم العديد من المجازر بحق الأهالي المدنيين، والذين كان يتهمهم تارة بقتال التنظيم وتارة بالردة، ومن بين هذه المجازر كانت مجزرة الشيعيات والتي وقعت بتاريخ نهاية شهر أيلول من عام 2014، حيث أمر تنظيم "داعش" بقتل كل ذكر يتجاوز عمره الأربعة عشر عاماً من قبيلة الشيعيات إحدى أكبر القبائل في شرق سورية، والتي ذهب ضحيتها أكثر من 700 شخص، قتل معظمهم ذباً⁵⁵.

⁵⁴- لمزيد من التفاصيل، راجع تقرير بثته قناة العربية الفضائية بتاريخ: 15-6-2014، على الرابط: <http://soo.gd/s0Lp>

⁵⁵- حول مزيد من التفاصيل، راجع مقال بعنوان: "ناجون يروون للمرة الأولى وقائع قتل 800 في مجزرة عشيرة الشيعيات"، عمر كايد، جريدة الحياة، بتاريخ: 2014-10-3.

الباب الرابع: أشكال التنظيم الاجتماعي والمجتمع المدني

1. أشكال التنظيم الأولى

لا يوجد مراجع أو شهادات دقيقة ومنتق عليها، حول أشكال التنظيم الأولى للمظاهرات التي خرجت تدريجياً في مدينة دير الزور منذ نهاية آذار من عام 2011، فأغلب الشهادات تشير إلى أنّ تلك المظاهرات خرجت بشكل عفوي، وأنها استقطبت شرائح متعددة من سكان المدينة، وأنها في الغالب لم تكن متحيّزة لفئة اجتماعية محدّدة، كالمثقفين مثلاً أو المعارضين القداماء لنظام الأسد، بل على العكس، ضمّت المظاهرات الأولى فئات وشرائح اجتماعية متعددة من مجتمع المدينة، وهي ملاحظة تشير إلى أنّ الاحتقان الشعبي في المدينة كان شاملاً أغلب فئات المجتمع الذي كان متضرراً من سياسات النظام عبر العقود الماضية، وهو ما يؤكده أيضاً الناشط ثائر الفرات، حيث يرى أنّ أحداث درعا كانت شرارة، بينما الاحتقان الذي كانت تغصّ به نفوس السوريين هو من أشعل ثورتهم.

المظاهرات

مظاهرات عفوية وضمت فئات اجتماعية مختلفة

نشأت مجموعات صغيرة من بضعة ناشطين كانت مهمتهم تنظيم الحراك من:

تحديد نقاط التظاهر
كتابة اللافتات
تحديد طبيعة الشعارات
التواصل مع باقي المجموعات في الأحياء الأخرى والتنسيق معهم.



وبحسب الناشط طه المحمد⁽⁵⁶⁾: أغلب الذين شاركوا في المظاهرات الأولى، هم أناس عاديون وبسطاء من أهالي المدينة، من الذين شهدوا إجرام نظام الأسد، وكانوا بانتظار أيّ حراك شعبي لينضموا إليه، وعند أول تشجيع لهم، بعد خروج الناس في أول مظاهرة دون خوف، سارعوا للانضمام إلى المتظاهرين، يشجعهم طبيعة الهتافات التي رفعت في تلك الأثناء. وكانوا يتقدّمون ويشاركون لمحاولة كسر الخوف والتحدّي والصراخ بالحرية والكرامة.

ورغم ذلك، وبحسب شهادة الناشط "أبو عبد الرحمن"⁽⁵⁷⁾ كانت بداية المظاهرات من دون تنسيق مباشر، إلا أنّه كان هناك شبان مثقفين (طلاب جامعيين، أطباء، مدرسين، ومهندسين..) يعملون وينسقون تلك المظاهرات، وكان التنسيق

56- شهادة حصل عليها الفريق الميداني من الناشط طه محمد، بتاريخ: شتاء 2015.

57- شهادة حصل عليها الفريق الميداني من الناشط أبو عبد الرحمن، بتاريخ: شتاء 2015.

من خلال كتابة اللافتات والتصوير، ومحاولة نشر مقاطع الفيديو والتواصل مع القنوات.

بعد خروج عدة مظاهرات في المدينة، ونجاح الناشطين الأوائل في تحدي السلطة الأمنية وقوات الشبيحة الذين داوموا على قمع هؤلاء الناشطين، بدأ العمل بشكل أكثر تنظيماً، وبتنسيق أعلى بين الشبان، فتمّ تنظيم الحراك الثوري في المدينة من خلال تنظيم أحياء المدينة كلّ حيّ بمفرده، حيث نشأت مجموعات صغيرة مؤلفة من بضعة ناشطين ثقات، وقعت على عاتقهم مسؤولية تنظيم الحراك، من تحديد نقاط التظاهر وكتابة اللافتات وتحديد طبيعة الشعارات، بالإضافة إلى التواصل مع باقي المجموعات في الأحياء الأخرى والتنسيق معهم.

وبالاستناد إلى رواية الناشط محمد الحامد، كان لمحاولات قوى الأمن والشبيحة التابعة لنظام الأسد قمع المتظاهرين، كبير الأثر في دفع الناشطين إلى الرفع من سوية عملهم وزيادة مستوى التنسيق فيما بينهم، في سبيل تمكينهم من القدرة على مواجهة تكتيكات قوى الأمن في مواجهة المتظاهرين من جهة، والاستفادة من الأخطاء السابقة والعمل على تجاوزها من جهة ثانية؛ وكل هذا هدف منه الناشطون إلى توسيع دائرة نشاطاتهم الثورية في المدينة، واستقطاب أعداد جديدة من الناشطين وانخراطهم في العمل الثوري الوليد.

الإعلام

عمد العديد من الشبان وبشكل فردي إلى:

تصوير المظاهرات مستخدمين كاميرات هواتفهم النقالة

ومن ثم تحميل مقاطع الفيديو على قناة اليوتيوب

التواصل مع وسائل الإعلام المختلفة، ومدها بالمعلومات الخاصة بالمظاهرات



ويروي الحامد، أنه بعد أن علمت قوى الأمن بأن جامع عثمان –على سبيل المثال- قد بات أحد أهم البؤر الثورية في المدينة، وأنّه بات نقطة لتجمّع وانطلاق المظاهرات، عمد إلى الزج بكل طاقاته من أجل حرمان الناشطين من هذا المكان، فنشر العشرات من الشبيحة وعناصر الأمن والموالون له، في محيط الجامع، وبات مع الوقت من العسير على المتظاهرين الخروج منه بمظاهرة، حيث كانوا يصطدمون بحشود الأمن والشبيحة في كلّ مرة يحاولون فيها الخروج بمظاهرة. من أجل كل هذا، طوّر الناشطون الأوائل استراتيجيات مختلفة، فمثلاً قاموا بتغيير نقاط التجمّع والتظاهر، كما عمدوا إلى إطلاق عدد من المظاهرات في آن واحد، من أجل تشتيت القوى الأمنية، والنجاح في نهاية الأمر بإخراج مظاهرات مناوئة لحكم الأسد إلى الشارع. وهي أساليب في تنظيم الحراك السلمي، والتي

كان لها أثراً كبيراً في حماية الناشطين من الاعتقال، وتفعيل أكبر قدر ممكن من وسائل النشاط السلمي.

أجبر الناشطون على اعتماد هذه الوسائل في تنظيم حراكهم الثوري نتيجة الظروف الأمنية المشددة التي خضعوا لها، والتي منعت إلى حد كبير من مركزة الحراك الثوري، إن كان على صعيد ميداني من خلال انطلاق المظاهرات وتجمّعها في مكان واحد (احتلال الساحات)، أو على صعيد العمل التنظيمي، والذي كان مفتتاً وغابت عنه المركزية. وهي سمة لازمت الحراك الثوري في أغلب المدن السورية، حيث منعت شدة القمع الناشطين من التجمّع في مكان واحد، وفرضت عليهم تنظيم أحياء مدنهم كل حيّ بمفرده.

على صعيد إعلامي، أيضاً لعب الأفراد دوراً مهماً في تغطية نشاطاتهم الثورية، فعمد العديد من الشبان وبشكل فردي إلى تصوير المظاهرات مستخدمين كاميرات هواتفهم النقالة، ومن ثم تحميل مقاطع الفيديو على قناة اليوتيوب ومن ثم بثّها على الملأ، بالإضافة إلى التواصل مع وسائل الإعلام المختلفة، ومدّها بالمعلومات الخاصة بالمظاهرات.

تنسيقية دير الزور

وقام بتأسيسها:

الناشط قعقاع مغير

كان موجوداً أثناءها في الجزائر، وغادر الجزائر فيما بعد قادماً إلى سوريا. ساهم مع رفاقه في الحراك الثوري في مدينة دير الزور، واقتصر دور التنسيقية على الجانب الإعلامي فقط.



تشكلت "تنسيقية دير الزور"، مع بداية الحراك الثوري في المدينة، وقام بتأسيسها كصفحة على شبكة التواصل الاجتماعي، الناشط قعقاع مغير، وكان موجوداً أثناءها في الجزائر، وغادر الجزائر فيما بعد قادماً إلى سوريا، ليساهم مع رفاقه في الحراك الثوري في مدينة دير الزور.

وبحسب الشهادات، لم يكن للتنسيقية دوراً ميدانياً فعلياً، وخصوصاً على صعيد تنظيم المظاهرات ورفع اللافتات واختيار الشعارات، واقتصر دور التنسيقية على الجانب الإعلامي بشكل أساسي، فساهمت وبشكل كبير بإيصال صوت المجتمع المحلي في المدينة إلى العالم الخارجي، كما ساهمت في تغطية المظاهرات وتوثيق انتهاكات حقوق الإنسان في المدينة.

2. منظمات المجتمع المدني

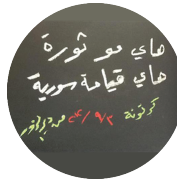
نشأت في مدينة دير الزور مجموعة من المنظمات والمجموعات التي يمكن أن ندرجها في إطار منظمات المجتمع المدني، وهي قليلة العدد بشكل يثير التساؤل قياساً بالعديد من المدن السورية الثائرة الأخرى، والتي ساهم الحراك الثوري فيها بتحفيز نشوء العشرات من منظمات المجتمع المدني والمجموعات الأهلية.

لعبت هذه المجموعات دوراً متواضعاً على صعيد المساهمة في تنظيم الحراك الشعبي في المدينة، كما لعبت دوراً إعلامياً على صعيد رصد الأحداث التي تجري في المدينة، وتوثيق انتهاكات حقوق الإنسان فيها من معتقلين وشهداء سقطوا على يد قوات الأمن والشبيحة التابعين لنظام الأسد، بدايةً، وضحايا تنظيم داعش تالياً.

كما لعبت هذه المجموعات، دوراً مهماً على صعيد إبراز الجانب السلمي من الحراك الثوري، وسعت إلى إيصال صوت المنتفضين في المدينة إلى العالم الخارجي، إن كان على صعيد إبراز نشاطاتهم وتعبيراتهم السلمية، أو على صعيد إظهار معاناتهم التي فرضتها عليهم قوات الأسد.

1. كرتونة ديرية

سعيًا لكسر التعقيم الإعلامي الذي تعانيه مدينة دير الزور، أطلق مجموعة من النشطاء بتاريخ 2012-6-22 مجموعة عمل أطلقوا عليها اسم "كرتونة من دير الزور" لرفع التهميش والتعقيم الإعلامي الحاصل للمدينة، ولتكون صدى صوتهم للعالم الخارجي، والمعبر عن أحلامهم وتطلعاتهم وسط تجاهل وسائل الإعلام لهم، ولقاومة الحصار الذي فرضه النظام عليهم.



كرتونة ديرية

تأسست في 2012/6/22

31 ناشط

المعيقات:

الحصار الخانق وعدم توفر أجهزة إرسال.
عدم توفر شبكة اتصالات في المدينة.
عدم توفر كهرباء.
القصف الشديد واليومي لكل الأحياء.

فكرة المجموعة ولدت في أذهان القائمين عليها بعد "الاجتياح الثاني لمدينة دير الزور من قبل الجيش النظامي بتاريخ 2012-6-22، وفرض الحصار الخانق الذي ما زال مستمراً حتى اليوم. وبعد شهر تقريباً من الحصار، وبحسب تعبير القائمين عليها: "خطر لنا أن نجد طريقة لرفع التهميش والتعقيم الإعلامي الحاصل للمدينة، فكان الاقتراح هو بسبورة (لوح مدرسي) أو ما يشبهها،

وما يعطي الإحساس بالصف المدرسي والطبشور، وهو ما قادنا بالنهاية إلى فكرة كرتونة سوداء كمساحة مفتوحة للأمل والحب، رغم لونها الأسود".

تقوم فكرة المجموعة على التعليق على الأحداث عبر كتابة عبارة ما تعكس وجهة نظر المدينة أو الناشطين تجاه الحدث العام، حيث يتم اختيار العبارات عبر التشاور والنقاش بين كافة أعضاء الفريق، إذ يقول الناشط أن "العبارات تكتب بشكل يومي بعد التشاور بيننا كفريق عمل، وتكون مستوحاة من واقع المدينة أو أي مدينة سورية أو قرية تعرّضت لحدث ما".

الظروف السيئة انعكست على أعضاء الفريق، إذ لم يبق منهم أحد الآن في المدينة إلا ثلاث ناشطين بعد أن كانوا سبعة، بسبب "اضطرار الباقي للخروج بسبب الظرف أو الإصابة، وكان عددا قد وصل إلى 31 ناشط داخل وخارج المدينة"، بحسب تعبير القائمين على المشروع.

يهدف أعضاء المجموعة من خلال عملهم الذي تمكن من فرض نفسه على الساحة الإبداعية والإعلامية السورية إلى "رفع التعقيم على الحالة المدنية للمدينة، والعمل على إظهار هذا الجانب، والتركيز على الدور الرئيسي للمدنيين حتى بعد أن توجّهت الثورة للتسليح، ولكن قناعتنا الثابتة أنّ المدنيين هم الحاضن الرئيسي للحراك، لذلك كان علينا أن نصمد في المدينة لندافع عن أفكارنا وما ثرنا من أجله".

وسعيًا لتحقيق هذا الهدف، عمل النشطاء على التعاون مع كلّ المجموعات ووسائل الإعلام التي تساعدهم على تحقيق هدفهم، فتعاونوا مع "الكثير من الصفحات السورية، منها "ثلاثاء الأحرار"، وتجمع أمارجي، وتنسيقية شباب الثورة بدير الزور، وصفحات كثيرة من كلّ المحافظات السورية بدون استثناء.

وتأخذ صيغة التعاون شكل المساهمة في الحملات والتظاهرات ورفع اللافتات، وتخصيص "أيام لأحداث معينة يتفق عليها سابقاً، مثل أسبوع المعتقلين، أو رفع الحصار عن حمص القديمة، أو حملة لا للتخوين وغيرها".

تتنوع المواضيع التي تركز عليها عبارات المجموعة من الاهتمام بالمعتقلين، إلى التعليق على الحدث السياسي، إلى تحويل المجازر إلى قضية رأي عام لتوحيد الجمهور حول رؤية ما.

ورداً على تجاهل الإعلام لمعاناتهم وأخبارهم في دير الزور، كتب على أحد الكرتونات: "إلى كل فضائيات وصحف الكون: كل سوري وثيقة والدكاتورية خبر"، وهي عبارة تحمل من المعاني والذكاء

الكثير، عدا عن جماليتها وقدرتها على التأثير إلى درجة أن العديد من الناشطين تناقلوا الكرتونة على صفحاتهم، وبعضهم جعل منها خلفية لصفحة.

رغم حماس كادر العمل، إلا أن ثمة معيقات كثيرة تقف لهم بالمرصاد وتعيق أهدافهم، يتجلى أهمها "بالحصار الخانق وعدم توفر أجهزة إرسال، ولا يوجد شبكة اتصالات في المدينة. لا للخطوط الأرضية ولا لشبكة الموبايل وعدم توفر كهرباء. إضافة للقصف الشديد واليومي لكل الأحياء، وهذا ما يمنعنا من التوثيق في كثير من الأحيان".

لا يقيس كادر العمل نجاحه أو فشله وفق وحدات قياس معينة، فهم يقومون بما يقومون به، لأنه "يستحق المتابعة والوصول إلى أقرب نقطة للنجاح. نحن ندعم ثورة إنسانية، ونجاحنا يتوقف على العمل المشترك للجميع في إنجاح الثورة".

إلا أن أكبر إخفاق يعترف به ناشطو المجموعة هو "بأن ينقص عدد المدنيين في المدينة من 800 ألف نسمة ليصل اليوم إلى 6000 نسمة فقط. فهذا يعتبر إخفاق لأننا لم نستطع كسر حاجز الصمت لكي نضغط على الحكومة لفك الحصار المستمر منذ 290 يوم تقريباً". ورغم ذلك يستمر الفريق بأداء عمله، لأن إشعال شمعة خير من أن تلعن هذا الظلام.

ورغم عدم اعتراف المجموعة بإنجازاتها، إلا أنها تمكنت من فرض نفسها بجدارة بين مجموعات الحراك السلمي، لأنها أصبحت عنواناً من عناوين الانتفاضة السورية، وهي مكانة حصلها النشاط بجهدهم وإبداعهم وإيمانهم الدائم، فعلى الرغم من هذا الدمار والركام لم نشك يوماً بسوريا جديدة، كما يقولون.

ب. دير الزور تذبج بصمت

في حوالي آب من عام 2014، وبحسب شهادة الناشط أحمد الرمضان أحد مؤسسي المجموعة، أطلق ناشطون من دير الزور، صفحة أسموها: "دير الزور تذبج بصمت"⁵⁸، أسوة بالصفحة التي أطلقها ناشطون في وقت سابق، والتي دعوها: "الرقعة تذبج بصمت"، هذا أن كلا المدينتين، الرقة ودير الزور، تنوءان تحت إجرام تنظيم داعش، والذي حول الحياة في المدينتين إلى جحيم، ونظام الأسد الذي قضى ويقضي على آخر خيط للنجاة في المنطقة.

⁵⁸ - موقع صفحة "دير الزور تذبج بصمت" على الويب: <http://www.dierezzore-bss.com>



دير الزور تذبح بصمت

تأسست في آب 2014

الإنجازات:

- توثيق ★ مجزرة أهالي "الشعبيطات"
- أسماء المعتقلين لدى داعش
- الأمراض والأوبئة بسبب الحصار ونقص الأدوية والمعدات الطبية.



وبحسب الرمضان، أتى تعريف مهام "دير الزور تذبح بصمت"، باعتبارها حملة تمثل مجموعة من الناشطين الإعلاميين، والتي تعمل من أجل توثيق انتهاكات داعش ونظام الأسد في دير الزور والشرق السوري، كما يسعى المقيمون على الصفحة إلى نقل معاناة المدنيين في المنطقة، وما يتعرّضون له من انتهاكات، وتوثيقها وتسليمها لمنظمات حقوق الإنسان.

وفعلياً، باشرت الصفحة بتوثيق أغلب الانتهاكات التي حدثت في دير الزور⁵⁹، وتحديدًا تلك التي

وقعت على أيدي تنظيم "داعش"، فعمدت إلى توثيق عدد كبير من المجازر المرتكبة بحق المدنيين، ومنها المجزرة التي ارتكبت في أواخر عام 2014 بحق أهالي "الشعبيطات"، والتي راح ضحيتها المئات من أفراد المنطقة. بينما يقول الرمضان أنه في هذا الشهر الجاري وحده تمّ توثيق نحو 300 ضحية في دير الزور قضاوا بسبب الطيران الحربي الروسي.

كما عمد المقيمون على الصفحة إلى توثيق أسماء المعتقلين لدى تنظيم "داعش" من المدنيين من أهالي دير الزور، كما رصدت الصفحة، جملة الأمراض والأوبئة التي أصيبت بها مناطق مختلفة من دير الزور، بسبب الحصار ونقص الأدوية والمعدات الطبية، وهو ما أدى إلى انتشار أمراض كثيرة بين المدنيين، ومنها الجرب، اللشمانيا، والتهاب الكبد وغيرها من الأمراض.

سعت الصفحة إلى توثيق انتهاكات نظام الأسد بحق المدنيين، فصمّمت العديد من الحملات الإعلامية التي سعت من خلالها إلى الكشف عن الحصار الذي تطبّقه قوات الأسد على بعض أحياء مدينة دير الزور، ومسؤوليته في انتشار الجوع في أوساط المدنيين، وبحسب أحمد الرمضان، وصل عدد الذين توفوا بسبب الجوع في دير الزور نحو خمسين شخصاً، بينما المناطق التي يتواجد فيها النظام، فيتوفر فيها كل أنواع السلع الغذائية والتي يحرم منها نحو 200 ألف من قاطني أحياء مدينة دير الزور المحاصرة من قبل تنظيم داعش ونظام الأسد معاً.

⁵⁹ - صفحة "دير الزور تذبح بصمت" على الفيسبوك: <https://www.facebook.com/DeirEzZor.S.S/timeline>

ينفي أحمد الرمضان أيّ علاقة لمجموعة "دير الزور تذبج بصمت" بأي جهة سياسية أو عسكرية، كما ينفي حصول المجموعة على أي تمويل، بينما أغلب العاملين في هذه المجموعة هم من الناشطين، والذين يضعون مصلحة سوريا ودير الزور بطبيعة الحال على رأس أولوياتهم.

ت. دير الزور تحت النار

بعد سقوط المراكز الأساسية في محافظة دير الزور بيد تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، نزحت كثير من العائلات، وأغلقت العديد من المؤسسات المدنية ومنظمات العمل المدني والمشاريع الخيرية، وهاجر العديد من الناشطين المدنيين إلى البلدان المجاورة وخصوصاً تركيا، الأمر الذي خلق فراغاً هائلاً في العمل المدني من جهة، وحاجة ماسة للتوثيق والرصد لمعرفة ما يجري ونقله للعالم من جهة ثانية، مما دفع عدد من النشطاء الذين بقوا في المدينة للاجتماع وإطلاق حملة "دير الزور تحت النار"⁶⁰.



دير الزور تحت النار

تأسست في نهاية 2014

20 ناشط

النشاطات: 🔍

الرصد- النقل- التوثيق

المعيقات 🚧

يتعرّض النشطاء لمخاطر
كبرى من تنظيم الدولة.

الحملة التي انطلقت في نهاية عام ٢٠١٤ بدأت مع اجتماع "صاحب الفكرة مع عدد من الناشطين بسريّة تامة، ونوقشت الفكرة والفوائد والأضرار المحتملة، ليتمّ الاتفاق على إطلاق الحملة مع الحفاظ على سريّة هوية الأعضاء لحمايتهم من غدر التنظيم الذي يعتبر حامل القلم أشدّ عداءً له من حامل المدفع" بحسب شهادة أحد أعضاء الحملة.

مع انطلاق الحملة وجّه التنظيم العديد من

التحذيرات والتهديدات لفريق العمل المؤلّف من مجلس إدارة ومراسلين وناشرين وصل عددهم إلى العشرين. إلا أنّ "دقة العمل، حالت دون الخضوع لهذه التهديدات، والتي كانت تهدف إلى خلق نوع من الشقاق الداخلي، وخصوصاً في بداية الانطلاق".

ونُقت الحملة نزوح أكثر من ١٠٠ ناشط ولجوؤهم إلى بلاد الجوار، ليتركز عملها على ثلاثة أمور: الرصد - النقل - التوثيق، معتمدة في ذلك على نشطاء مؤرّعين في الداخل والخارج، وعلى نوع "آخر

⁶⁰ - صفحة "دير الزور تحت النار" على الفيسبوك: <https://www.facebook.com/deirezzorunderfire/timeline>

من الأعضاء غير المنتسبين وهم المتعاونين المعجبين بالفكرة. ولكنهم ولأسبابهم الأمنية الخاصة يخشون الانضمام. وفي ذات الوقت يعطون الحملة الأخبار ويزودونها بالصور إن وجدت".

تختلف نشاطات الحملة بين فترة وأخرى، ففي الفترة التأسيسية رصدت الحملة بعض الانتهاكات بحق المدنيين من قبل من تسميهم "طرفي الإرهاب الأكبر (النظام والتنظيم)". إلا أن الصمت العالمي عن الجرائم المرتكبة دفعهم إلى تأسيس منظمة عمل مدني تعني "بالتوثيق والمسح الجغرافي ورصد حركة التعليم والصحة والإغاثة، بالإضافة إلى قسم التوثيق السري".

يتركز عمل الحملة اليوم، على إعداد الكوادر وإيجاد طرق لتدريب مدربين في التنمية، قادرين على إدارة هذه المرحلة من النكبة السورية، حيث يتعرّض النشطاء لمخاطر كبرى من التنظيم الذي عرف بشدة بطشه وجرائمه وعدائه الصريح لكافة الأنشطة المدنية بما فيها الإعلام والصحة والإغاثة والتعليم، الأمر الذي جعل جهود الفريق مضاعفة للحفاظ على السرية الكاملة للعمل، لأنها السبيل الوحيد للحفاظ على حياة الناشطين المهددين، خصوصاً في ظل غياب أي طرف في التمويل مما يعني قلة المعدات والتجهيزات ووسائل التشفير والمراسلة الآمنة" بحسب شهادة أعضاء من الفريق.

الحملة التي مضى زمن على انطلاقها لم تتلق حتى اليوم أي دعم "لا من حيث التجهيز ولا من حيث كفاية الناشطين وسد حاجاتهم"، الأمر الذي جعل قدرتهم على الصمود محدودة في ظل عدم وجود منافذ عمل أخرى، ما تسبّب بتسرّب عدد من الكوادر نحو الخارج، بحثاً عن الرزق.

الحملة حققت جزءاً من أجندتها، من خلال لفت الأنظار إلى ما تتعرّض له المدينة في مستوى أول، والسعي لجعل أخبارها في نشرات الأخبار في مستوى ثان، وحشد أكبر عدد من المناصرين والناشطين لقضية مدينتهم في مستوى ثالث، وتنظيم عدد من الاعتصامات في مدن خارج البلد نصرّة للمدينة، وهو ما تجلّى من خلال اللافتات التي رفعها ناشطون وأطفال في مدن متعدّدة نصرّة للمدينة.

رغم كل هذا الحصار الذي تتعرّض له المدينة والنشطاء في آن، وفي ظلّ صعوبات تزيدها "الحرب المدمرة والمفتعلة في كثير من الأحيان، وبمباركة أطراف وأقطاب دولية" كما يقولون، فإنهم لم يفقدوا الأمل بالبحث عن "مصدر يؤمن لنا الاحتياجات الأساسية للاستمرار في الكفاح، ولكسر شوكة الإرهاب المتمثلة بدولتي الأسد والبعثيين" لإيمانهم بأن "الصمود المستمر يجب أن تتوفر له بعض الاحتياجات".

“دير الزور تحت النار”: نشاط شباب رؤوا ما حلّ بمدينتهم على يد النظام أولاً وداعش ثانياً، فأنثروا العمل بصمت وسريّة بدلاً من النواح، مطوّرين أنفسهم من حملة ذات نشاط محدّد إلى مجموعة عمل مدنية لها طابع الاستمرارية، الأمر الذي يجعل منها حملة مستمرة تقوم بمهام مجموعة عمل.

ث. منظمة روافد

تأسّست منظمة روافد بتاريخ 2 أغسطس من عام 2011، ونشأت كمنظمة إغاثية⁶¹، فرضت وجودها حركات النزوح الأولى التي شهدتها مناطق مختلفة من سورية، وهي بحسب تعريف القائمين عليها عبارة عن: "منظمة إغاثية خيرية تطوّعية تعمل على تقديم كافة أنواع الدعم الإنساني لأهالي محافظة دير الزور، بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية والسياسية والعرقية".

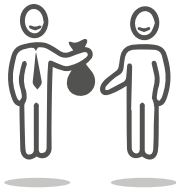


منظمة روافد

تأسست في 2011/8/2

نشاطاتها:

إغاثة عدد كبير من العوائل
وتقديم المساعدات العينية
والمادية والسلل الغذائية.



سعت منظمة "روافد" إلى سدّ ثغرة ولو متواضعة في الاحتياجات المتزايدة للمجتمع المحلي في مدينة دير الزور، أو في أوساط الجماعات النازحة إلى المدينة من مناطق سورية أخرى، كمدينة حمص على سبيل المثال، وبحسب الناشطين في منظمة "روافد": منذ انطلاق عمل المنظمة، عملنا على أن يكون عملنا موجهاً

لجميع الأسر المتضرّرة بشكل مباشر من نظام الأسد، واستطعنا إغاثة عدد كبير من العوائل، وتقديم العديد من المساعدات العينية والمادية والسلال الغذائية وإفطار الصائم، ودفع أجور المنازل، كما عملنا على إغاثة ضيوف دير الزور من العوائل النازحة الى المدينة من حمص وإدلب وغيرها".

ج. المجلس المحلي لمدينة دير الزور

يعتبر المجلس المحلي في مدينة دير الزور، الجهة المدنية الوحيدة المسؤولة عن جميع الخدمات المقدّمة للمدنيين من تعليم وإغاثة ونظافة، وغيرها من الخدمات⁶². وأتى تأسيس المجلس المحلي، في سياق محاولة ناشطي مدينة دير الزور ابتكار وسائل مختلفة من أجل تنظيم شؤون المدينة، وتحديدًا في

⁶¹ - موقع منظمة روافد على الفيسبوك: <https://www.facebook.com/Rwafed.Relief/?fref=ts>

⁶² - موقع "المجلس المحلي لدير الزور" على الفيسبوك: <http://soo.gd/BzNu>



المجلس المحلي لمدينة دير الزور

أعماله:

- تقديم الخبز المجاني اليومي.
- تقديم وجبات غذاء يومية تغطي 4 أحياء في المدينة و توزيع السلّال الغذائية ومياه الشرب.
- إزالة الأنقاض وإطفاء الحرائق الناجمة عن القصف اليومي وفتح الطرقات.
- إجراء عمليات إحصائية دورية لمراقبة أعداد السكان.
- افتتاح 10 مدارس.

المناطق التي خرجت منها قوات الأسد. ولعب المجلس على هذا الأساس دور السلطة المدنية في ظل غياب مؤسسات الدولة.

توزعت أعمال "المجلس المحلي" على عدد كبير من النشاطات، ومنها: تقديم مادة الخبز المجاني اليومي لجميع عوائل المدينة، تقديم وجبات غذاء يومية تغطي أربعة أحياء في المدينة، توزيع السلّال الغذائية لآلاف المستحقين في المدينة، توزيع مياه الشرب على المناطق التي لا تصلها المياه، إزالة الأنقاض الناجمة عن القصف اليومي الذي تتعرض له المدينة، إطفاء الحرائق الناجمة عن القصف، فتح الطرقات وتأهيل المناطق المتضررة للسكن، محاولة تأمين عودة أكبر عدد

ممکن من الأهالي إلى منازلهم، دعم أسر الشهداء والمعاقين بما تيسر، إجراء عمليات إحصائية دورية لمراقبة أعداد السكان، دراسة أحوال النازحين (قدر الإمكان) خارج حدود المدينة، بالإضافة إلى افتتاح عشر مدارس، ثمانية منها ابتدائية واثنتان واحدة إعدادية والأخرى ثانوية، وإجراء الامتحانات لكافة المراحل الدراسية.

من الناحية الديموغرافية، قام المجلس بإحصائيات دقيقة ودورية لمراقبة تغيّرات أعداد السكان خلال الحرب الدائرة، كما قام بإعادة بناء المساكن المتضررة لتأمين عودة أكبر قدر ممكن من العائلات النازحة، إضافة إلى التواصل مع النازحين ودراسة أوضاعهم.

ج. شبكة دير الزور الإخبارية

مع بداية الحراك السلمي في دير الزور، نشأت الحاجة إلى وسيلة إعلامية تغطي مجريات الأحداث، ولأنّه ما من سبيل إلى إنشاء قناة سمعية أو بصرية في ظل الافتقار الإعلامي وملاحقة النظام للنشطاء، فقد قرّر بعض الناشطين من أبناء المدينة إنشاء صفحة على فيسبوك باسم شبكة دير الزور



شبكة دير الزور الإخبارية

تأسست في نيسان 2011

● تطورت لتشمل قناة دير الزور الإخبارية والتي انطلقت عام 2013.



● توقفت مع دخول داعش إلى المدينة منتصف العام التالي.

● الأهداف
تدريب مراسلين مهنيين يعتمدون المعلومة الدقيقة.

الإخبارية⁶³، وذلك في شهر نيسان 2011.

تطوّرت هذه الشبكة لتشمل قناة دير الزور، والتي كانت الأولى من نوعها من حيث اشتغالها على اسم مدينة سورية، واختصاصها بكلّ مجريات الأحداث فيها، انطلقت هذه القناة عام 2013، ثم توقفت مع دخول "داعش" إلى المدينة منتصف العام التالي، غير أنّ الشبكة استمرت بنقل الأحداث لحظة بلحظة عبر موقعها الإلكتروني وصفحاتها في وسائل التواصل، على الرغم من الظروف بالغة القسوة في ظل الممارسات الوحشية

التي يقوم بها التنظيم ضد الإعلاميين، فكيف استطاعت هذه الشبكة الاستمرار بعملها حتى اليوم؟.

بحسب أحد النشطاء العاملين في الشبكة، والذي صرّح بأنّ جميع مراسليها لا يزالوا يعملون من داخل دير الزور، في حين أنّ الإدارة موجودة خارجها، حيث يقوم المراسلون بالتواصل مع أعضاء الإدارة عبر تقنيات لا يستطيع التنظيم كشفها وملاحقتهم من خلالها، "واتس آب أو سكايب"، يضيف الناشط: إنّ هؤلاء المراسلين لم يخافوا من النظام، وهو في أوج قوته عام 2011، لذلك فمن الطبيعي أنّ لا يخافوا من "داعش".

شبكة دير الزور التي تمّ ترخيصها وسيلة إعلامية في المملكة المتحدة منذ عام 2013، تهدف إلى تدريب مراسلين مهنيين يعتمدون المعلومة الدقيقة، حيث يوجد فريق خاص بتحرّي مصداقية الخبر، ومن ثم نقله إلى العالم من خلال فريق مختص بالتنسيق مع الشبكات الإعلامية الدولية، كما يعتمد المراسلون المدربون الأجهزة المتطورة في نقل الأخبار المصورة أو المكتوبة.

⁶³ - موقع الشبكة على الويب: <http://www.deirpress.com> وعنوان الشبكة على شبكة فيسبوك: <https://www.facebook.com/>

[DeirAlZorPN/info/?tab=page_info](http://www.deirpress.com/DeirAlZorPN/info/?tab=page_info)

تركز الشبكة على توثيق الانتهاكات بحق السوريين، سواء التي يقوم بها النظام أو داعش أو جبهة النصرة، من اعتقالات وخطف وذبح وقصف، بالإضافة إلى الأخبار الاجتماعية والاقتصادية، وقد أثبتت الشبكة فاعليتها خلال حصار تنظيم داعش لبعض الأحياء التي يسيطر عليها النظام، وذلك منذ شهر يناير/ كانون الثاني 2015، حيث استمرت بنشر أخبار الحصار الذي ترافق بانقطاع التيار الكهربائي والمياه واستمرار عمليات القصف على أحياء هرابش والقصور والجورة والبغليية، أما في باقي المدينة التي يسيطر عليها داعش، فيقول الناشط لـ (حكاية ما انحكت) إنَّ التنظيم يقوم بإيقاف مقاهي الإنترنت لعدة أيام، وفي هذه الحالة، تعتمد الشبكة على صفحات المدنيين من داخل المناطق الحرّة، علماً أنَّ جميع مراسلي الشبكة متطوعون يعملون دون أجر.

خاتمة

قدّمت دير الزور الكثير الكثير من التضحيات، سقط فيها المئات من الشهداء من أبناء المدينة، بداية على يد نظام الأسد، وتالياً على يد تنظيم "داعش" وأشباهه من التشكيلات الظلامية، وهدمت أجزاء واسعة من المدينة على يد قوات الأسد، الذي لم يبخل في استخدام كل أنواع الأسلحة التي بحوزته. وعندما فشل في إخضاع المدينة وأبنائها الثائرين اعتمد استراتيجية الحصار والتجويع.

ورغم كل محاولات الترهيب والترغيب الذي مارسها قطبي الإرهاب في سوريا، تنظيم "داعش" ونظام الأسد، بقي أبناء المحافظة الشجعان منحاكين إلى ثورة شعبهم وإلى أحلامهم بالحرية والاعتناق وبناء سوريا لكل السوريين، وهو ما عبّر عنه شهودنا بإصرار، رافضين أي شكل من أشكال الإملاء. بينما تمسك شبان المدينة بالاستمرار بالعمل والنضال السلمي فهو شيء يثير الدهشة.

تضج مدينة دير الزور وريفها بالأحداث والتحوّلات منذ خمس سنوات، ورغم أنّ المدينة كانت من أولى المدن المنتفضة كما لاحظنا في سياق البحث، إلا أنّها لم تنل حصّتها العادلة من التغطية الإعلامية والاهتمام البحثي، وهو شيء غريب ولا نجد له تفسيراً. وعلى الرغم من محاولتنا في هذه الورقة تسليط الضوء على جملة الأحداث والتحوّلات التي طرأت على المدينة وسكانها، إلا أنّ العمل يبقى قاصراً عن الإلمام بكل هذه التفاصيل التي تزخر بها المدينة. إلا أنّنا نأمل في أن تثير ورقتنا هذه اهتمام الباحثين وفضولهم في الكشف عن تفاصيل حكاية مدينة دير الزور في ظل الثورة السورية.

منهجية البحث

منذ منتصف مارس آذار عام 2011، والمدن السورية تخضع لديناميات عالية من التغيير والتحويلات، والتي نالت من جملة التكوينات الاجتماعية المحلية، وحتى من بيئاتها الجغرافية. وبقدر ما تبدو السيرورات الثورية في المدن السورية المختلفة متشابهة، وتتقاطع في العديد من النقاط والتفاصيل، إلا أنّ الدراسة العيانية لكل مدينة على حدى، تظهر التمايزات والخصوصيات التي تجعل لكل مدينة سورية حكايتها الخاصة بها. وهو أمر من الصعب الكشف عنه من دون الغوص في تفاصيل "الحكاية"، حكاية المدن وسكانها والأحداث الرهيبة التي عصفت بها خلال السنوات الخمس الماضية.

ومن بداية الحراك الثوري في سوريا، وازب نظام الأسد على قمع أي شكل من أشكال الإعلام الحر، ومنع دخول الفرق البحثية والإعلامية إلى سوريا، حتى أنه بات لدى السوريين العشرات من الشهداء الإعلاميين، وهم الشبان الذين سعوا إلى توثيق ما يجري في سوريا، وبثه إلى العالم المتمدن.

أريد لسوريا أن تكون أو أن تستمر في كونها مملكة للصمت، وفي الوقت الذي نجح فيه نظام الأسد في تحقيق ذلك عبر العقود الماضية، إلا أنه فشل بذلك بعد انفجار ثورة السوريين في عام 2011، وباتت حكاية السوريين في متناول الباحث المجتهد والساعي من أجل إنتاج معرفة بما يجري على الأرض السورية.

يندرج مشروع "مدن في الثورة" في هذا الإطار، إطار محاولة إنتاج معرفة تتسق مع مجريات الأحداث في سوريا عبر السنوات الخمس الماضية، ومن أجل ذلك تم اعتماد أساليب ومنهجيات معرفية مختلفة. بداية تم اختيار مجموعة من المدن المستهدفة بالبحث، وفيما بعد تم وضع مخطط بحثي خاص في كل مدينة، من أجل أن يرسم خطوات العمل. وللحصول على المعلومات حول كل مدينة من هذه المدن تم تشكيل فريق عمل ميداني، تقوم مهمته على جمع المعلومات وتسجيل الشهادات.

المصدر الرئيسي للمعلومات، كان شهادات تمّ الحصول عليها وتسجيلها من قبل ناشطين كانوا مشاركين في الأحداث أو على مقربة كافية منها، وتم فيما بعد تفرغ هذه الشهادات وتبويبها وجعلها صالحة للاستخدام البحثي. والمصدر الثاني للمعلومات كان المراجع المكتبية والالكترونية بما فيها مقاطع الفيديو، والتي تمّ مشاهدة عدد كبير منها وتسجيل الملاحظات، واعتمادها كإحدى المصادر الثانوية. بعد جمع المعلومات عن كل مدينة، تم مقارنة جملة هذه الروايات مع عدد من المصادر، ومن ثمّ تم اعتماد الرواية التي كانت أقرب إلى إجماع الشهود.

بعد الاستماع إلى الشهادات وتصنيفها، وجمع المراجع بمختلف أشكالها، تم المباشرة في تحرير مادة البحث، والتي اعتمدت بشكل أساسي على المصادر الحصرية التي جمعها الفريق الميداني، بينما أتت المراجع المكتبية والإلكترونية من أجل تدعيم هذه المعلومات، أو لكي تسد ثغرة فيها.

وفي كل الأحوال، لا نستطيع عبر عملنا هذا، الادعاء بالحيادية والموضوعية المطلقة، فالفريق القائم على العمل منحا منذ البداية إلى ثورة الشعب السوري، وجميع الشهود الذين تم الاستماع إلى شهاداتهم هم من المعارضين الجذريين لنظام الأسد، ورغم ذلك سعينا بقدر ما استطعنا إلى معالجة، ومن ثم عرض ما توصلنا إليه من حقائق بأقصى ما يمكن من موضوعية تفرضها خطوات البحث العلمي.

ويبقى أن نلفت الانتباه إلى أن مشروع "مدن في الثورة" لا يدعي تقديمه للحقيقة كاملة، كما أننا واعون إلى أن جهودنا هي جزء يسير تدرج في سيرورات إنتاج معرفة بالحراك الثوري السوري بشكل عام، سعينا من خلاله إلى محاولة سد ثغرة، ولو طفيفة، في رصد وتوثيق مجريات الأحداث التي تضج بها سوريا عبر السنوات القليلة الماضية.

وإن كان لا بد من توجيه رسالة شكر، فنود أن نقدمها إلى شهودنا الشجعان، والذين لم ييخلوا لا بوقتهم ولا جهدهم في سردهم لساعات طويلة لحكايتهم، وحكاية مدنها الثائرة ضد الطغيان. لهم ولجميع من ساهم في إنجاح هذا المشروع، نحن مدينون بالشكر.

فريق العمل

صبر درويش

باحث وصحفي سوري، عمل في مجال الصحافة والعمل البحثي، ساهم في إعداد كتابين، "تجربة المدن المحررة" الصادر عن دار الريس 2015، وكتاب "مآسي حلب الثورة المغدورة ورسائل المحاصرين" بالتعاون مع الصحفي والروائي اللبناني محمد أبي سمرا، الصادر عن دار المتوسط 2016.

محمد ديبو

باحث وكاتب سوري، يرأس تحرير موقع "حكاية ما انحكت"، ويعمل محرراً في صحيفة العربي الجديد. صدر له: في الشعر (لويخون الصديق، 2008، منشورات دمشق عاصمة الثقافة العربية)، وفي القصة (خطأ انتخابي، 2008، دار الساقى/بيروت)، وصدر له شهادة عن تجربته في الاعتقال والثورة السورية، بعنوان (كمن يشهد موته، دار بيت المواطن/2014) وقد ترجمت للإيطالية. كما لديه كتب مشتركة مع آخرين، وأبحاث عديدة في مجال الاقتصاد والطائفية والدولة والمجتمع المدني.

مدن في الثورة

منذ منتصف مارس آذار عام 2011 والمدن السورية تخضع لديناميات عالية من التغيير والتحويلات، والتي نالت من جملة التكوينات الاجتماعية المحلية وحتى من بيئاتها الجغرافية. وبقدر ما تبدو السيرورات الثورية في المدن السورية المختلفة متشابهة وتتقاطع في العديد من النقاط والتفاصيل، إلا أن الدراسة العيانية لكل مدينة على حدى، تظهر التمايزات والخصوصيات التي تجعل لكل مدينة سورية حكايتها وتفصيلها الخاصة، وهو أمر من الصعب الكشف عنه من دون الغوص في تفاصيل الحكاية.

جاء مشروع "مدن في الثورة السورية"، ليروي الحكاية ويجعلها بمتناول الباحث المجتهد والساعي لإنتاج معرفة (بحث، فيلم، إنفوغرافيك، حلقات إذاعية) بما يجري في المدن التي كانت ميدان بحثنا (السلمية، القامشلي، دير الزور، بانياس، درعا، الزبداني): كيف خرجت أول مظاهرة؟ من قام بها؟ وكيف تعامل الأمن معها؟ وكيف تطور الحراك من الداخل حتى وصل ذروته ثم انحساره، ولم انحسر؟ ومتى سقط أول شهيد؟ ومتى تم التفكير بالسلح، ولم؟ وأية دوافع دفعت الناس لحمله لاحقاً؟ ودور العوامل الخارجية؟ وما هي مجموعات المجتمع المدني والكتائب العسكرية التي تشكلت في هذه المدينة، وما هو الدور الذي قام به كل منها؟ وكيف انحسر المكون المدني لصالح الإسلامي في بعض المدن؟ وكيف ولد الإرهاب؟ وكيف حال المدن الآن؟

لتحقيق ما سبق، تم وضع مخطط بحثي خاص لكل مدينة ليرسم خطوات العمل، ثم تم اختيار مجموعة مجتمع مدني موجودة داخل المدينة، وحين تعذر ذلك، تم تشكيل فريق عمل ميداني، مهمتهم الأساس جمع المعلومات وتسجيل الشهادات وتصويرها مع النشطاء الذين كانوا مشاركين في الأحداث أو على مقربة كافية منها، ليتم تفريغ الشهادات وتبويبها، لتكون المصادر الأساسية لعملنا، فيما كان المصدر الثاني المراجع المكتبية والالكترونية بما فيها مقاطع الفيديو، والتي تم مشاهدة عدد كبير منها وتسجيل الملاحظات، واعتمادها كإحدى المصادر الثانوية.

بعد جمع المعلومات عن كل مدينة، تم وضع كل ما سبق بين يدي: (1): الباحث الذي أنتج بحثاً علمياً معمقاً، مكتوباً بصيغة الحكاية، بعد أن قارن الشهادات المجموعة من قبلنا مع عدد من المصادر، ليعتمد الرواية التي كانت أقرب إلى إجماع الشهود. (2) المخرج: الذي أنتج فيلماً عن كل مدينة. (3): مجموعة عين التي أنتجت إنفوغرافيك يسرد بطريقة رقمية إحصائية أهم الأحداث، ويوثق أغلب

المجموعات المدنية والعسكرية التي تشكلت. (4) الإذاعة: التي أنتجت حلقات إذاعية عن كل مدينة، إضافة إلى الصور والشهادات القادمة من تلك المدن.

في عملنا هذا، لا ندعي الحيادية والموضوعية المطلقة، فالفريق القائم على العمل منحاز منذ البداية إلى الثورة السورية، وجميع الشهود الذين تم الاستماع إليهم من المعارضين لنظام الأسد، ورغم ذلك سعينا بقدر ما استطعنا إلى معالجة، ومن ثم عرض، ما توصلنا إليه من حقائق بأقصى ما يمكن من موضوعية تفرضها خطوات البحث العلمي، دون أن ندعي تقديم الحقيقة كاملة، فنحن جزء من كل، يسعى لسد ثغرة، ولو طفيفة، في رصد وتوثيق مجريات الأحداث التي تضح بها سورية.

ختاماً، لا بد من توجيه رسالة شكر، إلى شهودنا الشجعان، الذين لم يبخلوا بوقتهم أو جهودهم في سردهم لساعات طويلة لحكايتهم، وحكاية مدنهم النائرة ضد الطغيان. لهم ولجميع من ساهم في إنجاح هذا المشروع، نحن مدينون بالشكر.

مشروع مدن في الثورة ممول من قبل منحة ابتكار من مؤسسة Canal France International والاتحاد الأوروبي.

حكاية ما انحكت

سيريا أنتولد - حكاية ما انحكت، هو منصة إعلامية تهدف بشكل رئيسي إلى رواية قصص الانتفاضة السورية، عن طريق تسليط الضوء على النشاطات الاستثنائية التي قام بها السوريون منذ بداية الانتفاضة في آذار 2011، حيث يقوم بجمع المعلومات التي تقع ضمن حيز العصيان المدني، والمقاومة السلمية الإبداعية وتنسيقها، ليكون مرجعاً للعمل المدني في سوريا.

موقع "حكاية ما انحكت" منذ بدايته في عام ٢٠١٣، عمل على تأطير وتنظيم الكم الهائل من المعلومات المتعلقة بالانتفاضة، عوضاً عن أن يكون مجرد موقع ناقل بشكل آلي/ ميكانيكي لما يحدث في سوريا. الموقع يسعى إلى تحويل إبداع الحراك السلمي وصانعيه، من واقعهما الحالي كقصص مهمشة وجانبية، ليكونا في مركز المشهد، ومرتكز الانتفاضة السورية.